مجلة الليبي

The Libyan

شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة الخدمات
الإعلامية بمجلس النواب الليبي

الليبي / السنة الثانية العدد 13 / يناير 2020

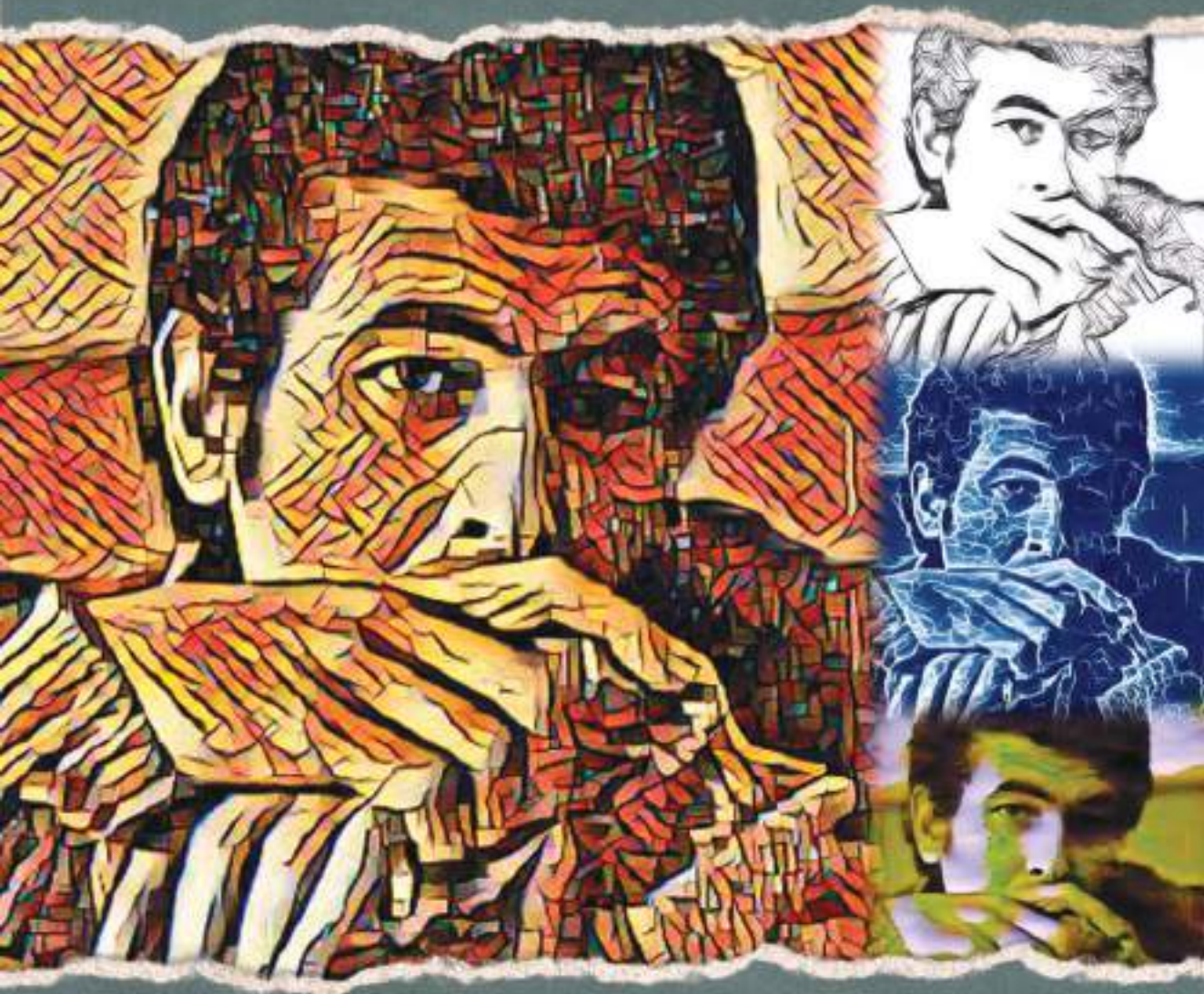

نيهوم ليبيا الفذ ... تحية طيبة وبعد

صورة الغلاف

ولد الصادق النيهوم في مدينة بنغازي عام 1937. درس جميع مراحل التعليم بها إلى أن انتقل إلي الجامعة الليبية، وتحديدا بكلية الآداب والتربية – قسم اللغة العربية، وتخرج منها عام 1961 وكان ينشر المقالات في جريدة بنغازي بين عامي 1958-1959 ومن ثم عُين معيداً في كلية الآداب.

أعدّ أطروحة الدكتوراه في « الأديان المقارنة» بإشراف الدكتورة بنت الشاطيء جامعة القاهرة، وانتقل بعدها إلى ألمانيا، وأتم أطروحته في جامعة ميونيخ بإشراف مجموعة من المستشرقين الألمان، ونال الدكتوراه بامتياز. تابع دراسته في جامعة أريزونا في الولايات المتحدة الأمريكية لمدة عامين.

درّس مادة الأديان المقارنة كأستاذ مساعد بقسم الدراسات الشرقية بجامعة هلنسكي بفنلندا من عام 1968 إلى 1972.

كان يجيد، إلى جانب اللغة العربية، الألمانية والفنلندية والإنجليزية والفرنسية والعبرية والآرامية المنقرضة

تزوج عام 1966 من زوجته الأولى الفنلندية ورُزق منها بولده كريم وابنته أمينة، وكان وقتها مستقراً في هلسنكي عاصمة فنلندا، انتقل إلى الإقامة في جنيف عام 1976 وتزوج للمرة الثانية من السيدة (أوديت حنا) الفلسطينية الأصل.

توفي في جنيف يوم 15 نوفمبر 1994 ودُفن بمسقط رأسه مدينة بنغازي يوم 20 نوفمبر 1994.

هذه فقط علامات الطريق الرئيسية، أما الابداع فالنيهوم المفكر والأديب هو هرم لا تفي بحقه التفاصيل. .

الليبي
The Libyan

شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة الخدمات
الإعلامية بمجلس النواب الليبي

رئيس التحرير
الصديق بودوارة

Editor in Chief
Alsadiq Bwdawarat

مدير التحرير:
أ. سارة الشريف

سكريتر التحرير:
عبد الناصر مفتاح حسين

مكتب القاهرة :
علي الحويج

مكتب تونس :
سماح بني داود

مكتب فلسطين :
فراس عمر حج

شؤون إدارية:
رمضان عبد الونيس

خدمات عامة:
محمد الورشفاني
حسين راضي

إخراج فني :
محمد حسن محمد

العنوان في ليبيا

مدينة البيضاء - الطريق الدائري الغربي

عناوين البريد الإلكتروني

libyanmagazine@gmail.com
info@libyanmagazine.com
Ads@libyanmagazine.com
http://libyanmagazine.com

شروط النشر في مجلة الليبي

توجيه المقالات الي رئيس تحرير المجله.
تكتب المقالات باللغه العربيه وبخط واضح وترسل علي البريد الالكتروني ومرفقه بما يلي :

1. سيرة ذاتيه للمؤلف او المترجم .
2. الاصل الاجنبي للترجمه اذا كانت المقالة مترجمة.
3. يفضل ان تكون المقالات الثقافية مدعمه بصور اصلية عاليه النقاء مع ذكر مصادر هذه الصور ومراعاة ترجمه تعليقات وشروح الصور والجداول الي اللغه العربيه.

- الموضوعات التي لا تنشر لا تعاد الي اصحابها.
- يحق للمجله حذف او تعديل او اضافة اي فقرة من المقالة تماشياً مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعاً للحدود الدولية.
- لا يجوز اعادة النشر بأي وسيلة لا مادة نشرتها الليبي بدايه اصدار العدد الاول وحتي تاريخه دون موافقة خطية من الجهات المختصة بالمجلة إلا اعتبر خرقاً لقانون الملكية الفكرية.
- الاسم الكامل حسب الوثائق الرسمية (باللغة العربية والانجليزية) اسم الدولة ، صوره واضحة عن جواز السفر، اسم البنك ، اسم الفرع ، السوفيت كود ، رقم الحساب ، رقم الآيبان (IBAN).

المواد المنشورة تعبر ان اراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رآي المجلة ويتحمل كاتب المقال جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

الليبي
The Libyan
السنة الثانية
العدد 13
يناير 2020

محتويات العدد

افتتاحية رئيس التحرير

(ص 8) مات.. ولم يُمتّع بالشابِ

شـــــؤون ليبية

(ص 14) عبدالله مليطان، الأديب الليبي صانع المعاجم لمجلة الليبي: ثمة لعنة تلاحقنا
(ص 24) أوجلة ماضٍ لا يُقدر بثمن
(ص 25) أضواء على مهرجان أوجلة الثقافي السياحي الخامس في حضنها يسكن التاريخ
(ص 29) المؤتمر الدولي الأول للدراسات الاقتصادية والسياسية تحت شعار: الهجرة غير الشرعية: تداعيات وسبل المواجهة.
(ص 34) ولم يُمتّع بالشبابِ.. لكن محمد ساسي سيكون حاضرا

شـــــؤون عربية

(ص 36) القات بين علامتي استفهام.. جهنم اليمن أم جنتها ؟
(ص 41) عندما احتج الموريتانيون على نشيدهم..انجاز كبير أم ضلال إبداعي

كتبوا ذات يوم

(ص 44) حوليَّات.. صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا

ترحـــــــــال

(ص 46) قلعة بني حماد بالمسيلة.. العاصمة التي كانت
(ص 48) عمارة تشكيلاتها من تفاصيل الذاكرة والواقع والمخيال غدامس.. المذهلة
(ص 52) بلعمة.. نفق فلسطين العنيد

أيام زمان

(ص 55) عندما كانت إسرائيل هي العدو الأول فقط.

محتويات العدد

ترجمـــــــات

(ص 56) روما لجريجوري ديفيد روبرتس.
إبداعات اللص المحترم

ابـــــــداع

(ص 62) الشاعرة السورية عُلا حسامو لمجلة الليبي:
استمعوا إلى من تريدون ثم انسوا ما سمعتوه

(ص 67) بالليبي الفصيح
(ص 68) بين كاميليا مصر وحبيبة تونس.. عندما تتشابه التفاصيل
(ص 71) كفكف دموعك «قصيدة»
(ص 72) قراءة في رواية للكاتب والشاعر أحمد بنميمون:
طرقات منتصف الليل
(ص 78) جنة النص
(ص 80) بين الحداء والخبب..
الإبل والخيل ..والموسيقى

ابـــــــداع

(ص 84) لم يعد للعيش طعم.. الموت قبل الأربعين
(ص 88) شيطنة عابرة..! «قصة قصيرة»
(ص 90) مرض التفكير الزائد
(ص 92) التشكيلي الليبي « عمران بشنة » الذي رثته الريشة وبكاه اللون

قبل أن نفترق

(ص 98) الألق الإفتراضي

الاشتراكات

قيمه الاشتراك السنوي 10 دل وداخل الوطن العربي 10دل أو يعادلها بالدولار.

- باقي الدول العالم 10 دل أو مايعادلها بالدولار الامريكي أو اليورو الأوربي.
- ترسل قيمه الإشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالعملات المذكورة بإسم مؤسسه الخدمات الاعلامية بمجلس النواب الليبي علي عنوان المجلة.

ثمن النسخة

ليبيا 5 دينار ليبي (الأردن 5 د.ل – البحرين 5 د.ل – مصر 5 د.ل – السودان 5 د.ل) اول يعادلها بالدولات
(موريتانيا 5 د.ل – تونس 5 د.ل – الإمارات 5 د.ل – المغرب 5 د.ل ، الكويت 5د.ل– العراق 5 د.ل) اول يعادلها بالدولات
Iran400Riyal،Pakistan75Rupees،UK2.5pound،Italy2€،
France2€،Austria2€،Germany2€،USA2$،Canada4.25CD

رزق السيد /مصر

عائشة عبد الحق / ليبيا

مات .. ولم يُمتّع بالشبابِ

بقلم : رئيس التحرير

أبنيتي ، لا تحزني كلُّ الأنامِ إلى ذهابِ
أبنيتي ، صبراً جميلاً للجَليلِ مِنَ المُصَاب
نُوحِي عَلَيّ بِحَسْرَةٍ .. من خَلفِ سترك وَالحجابِ
قُولي إذَا نَادَيْتِني .. و عييتِ عنْ ردِّ الجوابِ :
زينُ الشبابِ ، « أبو فراسٍ، .. لمْ يُمَتَّعْ بِالشّبَابِ .

إنه « أبو فراس الحمداني» قبل 1060 عاماً من صدور هذا العدد، وهو يئن ويتوجع حزناً وتأسفاً على عمرٍ ظن أنه ضاع سدىً، ونظنه نحن نقشاً على صفحة زمنٍ لا يموت.

ماتَ البطل المغوار إذاً، شبع موتاً، وبطولةً ومجداً، لكنه مات وفي صدره غصة لا دواء لها، وداءٌ لا علاج لداءه، ووجعٌ لا سبيل لمداواة وجعه.

هكذا هي الأمور، من يستحق شبابه لا يتمتع به، ومن لا يستحق حياته تطول به الحياة، وكأن هذه الدنيا توزع هباتها بعين نصف مغمضة، أو كأنها ناقة «زهير بن أبيً سلمى»، تلك التي كانت تسير عشواء تتخبط في متاهات ذلك الرمل بلا يقين. ولكن، هل هذا التخبط قدرٌ لا يبتلى به إلا البشر ؟

كلها محض مشاريع لم تمتع بالشباب :

ليس الحمداني وحده، ثمة كاتب رائع، كان مشروعاً للنجاح، وكان بشارةً طيبة تنبيء بعقلٍ يستحق أن نقرأ له، لكن «محمد ساسي» وكأنه قرأ أبيات الحمداني الرائعة هذه، فسارع إلى اعتناق معناها، وغاب مسرعاً دون حتى أن يمتعنا بقراءة ما كان يريد كتابته، فإذا بنا ننعي فارساً آخر مات ولم يُمتّع بشبابه بعد.

وليس الحمداني وحده أيضاً، فقبل زمن طويل كنا نملك في خزينتنا الشحيحةً نبتة سلفيوم ليبية مبهجة بهيجة مثمرة يانعة مفكرةً دانيةً قريبةً وفي منتهى روعة الذهول، كنا نملك عقلاً كان اسمه «الصادق النيهوم»، وكان قد دخل مرحلة نضجٍ أسطورية فبدأ يضع لنا المؤلفات التي تبدوً منارةً تتوسط ظلام الجهل الدامس فيشع من حولها التخلف بنور المعرفة، وكانت الدنيا قد بدأت تنتبه إلى أن ليبيا بدأت تنتج نبات السلفيوم من جديد بعد 3 آلاف عام من انقراضه القديم، لكن أبيات أبي فراس الحمداني عادت كاللعنة القديمة لتطفيء شمعة «الصادق» وليعمنا التخبط من جديد.

وليس الحمداني وحده، فقبل عشرات السنين كانت لنا عشرات المجلات والصحف الثقافية الرائدة، وكنا قد بدأنا نحفر لذاكرتنا مكاناً لائقاً على مسرح الحضور الصحافي في العصر الحديث، مبكراً وقبل الكثيرين من حولنا، ولكن أبيات الحمداني كانت لمشاريعنا بالمرصاد، فماتت مجلاتنا وانتحرت صحفنا دون حتى أن تُمتع بالشباب.

ليس الحمداني وحده، مشاريع كثيرة

رائعة، وبشر كثيرون رائعون، كلها ، وكلهم، لم ينالوا حتى فرصة التمتع بشيخوخة ما بعد ازدهار ربيع الشباب، بل ماتوا عن سابق تصورٍ وتصميم قبل حتى أن تؤلف من أجل حضورهم القصائد.

ليس الحمداني وحده، وكأن ركح هذا المسرح الرديء لا يستوعب معنى أن يكتمل جمال المشهد، ولا أن يمتد العمر إلا بلئيمٍ لا يستحق، ولا أن يطول الزمن إلا بمشروعٍ فاشل لا يقدّر لمشروعه سوى دوام الفشل، فهل سلمت الدنيا قيادها إلى بغاث طيورها دون الجوارح ؟

الحمداني في مغارة الكحل :

في الواقع، كلنا في مغارة الكحل، وليس الحمداني وحده، وإذا كان ذلك المكان البغيض قد شهد وقوع فارسنا المغوار في الأسر، وقاده بعد ذلك إلى ظلام محبسه حيث ظل ينتظر اهتمام سيف الدولة وقتاً طويلاً إلى أن فاض به فأبدع شكواه قصائداً من ذهبٍ لا يصدأ، فسقط جميع من خذله في هاوية النسيان وظلت قصائده حيةً كأنها بنات اليوم الذي نعيش يومه الآن.

كلنا في مغارة الكحل، وكلنا نسقط في الأسر عند هذه النقطة بالذات، وإذا كانت جيوش الروم قد أسرت ابا فراس ذات يوم، فإن جيوشاً كثيرة تأسرنا نحن، فهذا جيشٌ للعمر القصير، وهذا جيشٌ للظروف الصعبة، وذاك جيش لضعف الإدارة، وتلك كتيبة لنقص التمويل، وهذه فرقة لانعدام الكفاءات، وذاك فصيل لموت حرية التعبير، فما أكثر جيوش الروم يا حمداني، وما أقلنا نحن .

مشاريعنا الكبيرة سرعان ما تموت، والغريب أن هذه القاعدة لا تنطبق على الداخل الليبي فقط، بل تمتد لتشمل محيطاً عربياً يتمدد من محيطنا إلى الخليج، مع فارقٍ ملحوظ في اختلاف العقليات عند بعض مَن رزقوا عقولاً ترى في العادة أبعد مما يرى الآخرون.

العربي، مجلة الربع مليون نسخة :

في دولة الكويت مثلاً ثمة مثال رائع يتوهج كل يوم، فهذه المطبوعة التي ولدت عام 1958 لم تتوقف سوى عام واحد فقط، ثم عادت بعده للصدور لتطبع في كل عددٍ ربع مليون نسخة، ولتبزغ من نورها مشاريع ثقافية أخرى هي العربي الصغير وكتاب العربي وغيرها من الفروع التي أكدت على متانة الأصل وقوته. فهل يمكن لنا أن نرى في مجلة العربي ذلك الاستثناء الذي يؤكد القاعدة ؟ أم أننا لا زلنا نحلم كعادتنا منذ ألف سنةٍ أو يزيد ؟

في مدار التفاؤل هذا يمكن لنا أن نعثر على صحيفة الأهرام المصرية التي صدر عددها الأول في عام 1875، أي منذ 145 عاماً من الآن، ولازالت تصدر كل مطلع شمس، وكأنها تتحدى ما نرمي إليه في هذه الافتتاحية، فهل نحن على خطأٍ أم نحن في درب الصواب ؟

مشاريع الدول المستنيرة :

لكي تنتج مشروعاً يتمكن من الاستمتاع بشبابه، ولا يسقط في قبضة جيوش الروم التي تكمن له في العادة في مغارة الكحل الكئيبة، عليك أن تتكيء على امكانيات الدولة، هذا هو العنوان الفخ، أو هو الأساس الذي يطرح نفسه قاعدةً لا غنى عن اتباعها إذا ما أردت لمشروعك أن لا يموت، ولكن، هل تستوعب الدول دائماً معنى أن تولد في رحمها مؤسسات ثقافية كبيرة ومهمة، وهل تستوعب الدول دائماً قيمة أن تحتضن مواهب مبدعيها لكي يتمكنوا من الانتشار والكتابة والابداع قبل أن تبخل عليهم أقدارهم بالمزيد من العمر؟ إن الحقيقة التي يتجاهلها الكثير من المسؤولين العرب هي أن الثقافة ليست مجرد مجلة يتم الانفاق عليها شهرياً، ثم يمضي العدد بعد العدد ولا ناتج ولا محصول، فقد تعودوا أن يكون المحصول

حسياً يُلمس باليد، أو عينياً يُعد بالقطعة، ولم يعرفوا بعد أن نتاج الثقافة المستنيرة هو جيلٌ كاملٌ يتمتع بالذهن المنفتح المبدع القادر على الحوار والاستيعاب والنقاش والأخذ والرد والاقتراح والعمل والجدية والتفكير والحب ونبذ ثقافة الكراهية والدمار والتجاهل والازدراء .

كل هذه الكنوز يمكن لك أن تغرسها في تربة وطنك بمجرد مداومتك على إصدار مجلة ثقافية لبضع سنين بلا انقطاع، وسوف لن تكلفك في الواقع أكثر من ثمن سيارة فخمة، أو رحلة ترفيه، أو حفلٍ ساهر أو إقامة أسطورية لمجموعة من الحمقى في فندق فخم .

إن تكلفة الثقافة ليست باهظة الثمن أيها السادة، لكن ثمن عدم انتشارها بين شعبٍ ما، هو كارثة بكل المقاييس، فالمواطن المثقف هو منتج يختلف اختلافاً عن كبيراً عن المواطن الذي لا ثقافة له، والجندي المثقف كذلك، والعامل المثقف، والطالب المثقف، والبائع المثقف، كلها منتجات تختلف اختلافاً جذرياً عن غيرها، فأنت تستطيع أن تبني دولةً، وأن تحمي مؤسسات، وأن تحافظ على مقدرات، بمجرد أنك تملك الكفاءات البشرية المؤهلة ثقافياً لتصون هذه المفاهيم المهمة، فيما يصبح الأمر بالغ الصعوبة لو أهملت في بناء هذه المواطن الضرورة في زمنٍ لا غنى فيه عن ضرورة وجوده .

إنك تستطيع أن تبني دولة كاملة بمجرد دعمك لإصدار مجلة ثقافية تستحق الدعم، فما أعظم المنتوج وما أقل الثمن الذي يُدفع للحصول عليه .

قرعويه يقتل الحمداني في «صدد» :

وتدور دوائر الأيام، وينبت في وجه دولة بني حمدان دمّل كريه يدعى «قرعويه»، وكعادة الدمامل الكريهة فإنه ينتشر ويشتد

عوده ولا يموت، وكعادة الأنذال أيضاً تحبه الدنيا، وتحنو عليه، وتدعمه، وإليه تتودد وتمعن في التذلل والتقرب والمحاباة، في نفس الوقت الذي تزدري فيه كائناً نبيلاً شريفاً كأبي فراس، وهكذا تفرض الحياة الدنيا شروطها على أصحاب معاليها، فتخسف بهم الأرض، فيما تبسط رداء الخضوع لأنذالها واللصوص فتجلسهم على مناصب السطوة فيها.

وهكذا يكون الأمر، وتشهد بلدة «صدد» ذات يومٍ معركةٍ لا تكافؤ فيها، يقتل فيها «قرعويه» أبي فراس، ويقطع رأسه ويتركه جثةً مرمية في خلاء لا صاحب له، معلناً على أديم ترابها أن بغاث الطير تمكنت من جوارحها بلا منطقٍ يُعقل ولا عقل يستسيغ .

يموت الرجل فيرثي نفسه، وتموت مشاريعنا الواعدة فلا تجد حتى من ينشد في حقها بيتاً من وجع.

ربما هي سيرة موت طويلة هذه التي نعيشها الآن، سيرة بدأت خطاها منذ زمنٍ تطاول به الزمن، وهانحن ندفع ثمن سكوتنا وانصياعنا ولا مبالاتنا مقعداً وضعه لنا العالم في آخر الطابور، وتصنيفاً ارتضاه لنا الجميع كعالم رابع يتذيل الترتيب بلا أدنى شعورٍ بالخجل .

إن قرعويه تجاهل المشاريع المهمة يقتل كل يومٍ أبي فراس الإبداع الواعد، لكن بلدة «صدد» ليست هي المكان المفضل لارتكاب الجريمة دائماً .

ليس الحمداني وحده إذاً، فما أكثر الموتى مبكراً، وما أشد وجع عجز هذا البيت الكئيب :

مات ولم يُمتّع بالشباب .

عبد الله مليطان، الأديب الليبي صانع المعاجم لمجلة الليبي :

ثمة لعنة تلاحقنا

حاوره : رئيس التحرير

هو منظومة كاملة من المعرفة، ومحيط شاسع من الهدؤ، ودنيا مدهشة من التواضع، وإذا ما اجتمعت هذه الثلاثية في شخصٍ صادفته فاعلم أنك تحاور الأديب والدكتور الليبي عبدالله مليطان .

جمعتني به أعماله أولاً، ثم كانت الملتقيات والندوات نداءً آخر نسرع لتلبيته، ومع كل لقاء كان يتأكد لي أن ليبيا ليست كما يراها البعض، مجرد متاهة من الرمال، بل أنها موطن لوجهٍ مشرقٍ جميل قد لا يريد له الكثيرون أن يظهر، ليبيا موطن للمبدعين الحقيقيين، لكنهم يتوارون خلف ذهب تواضعهم وأدبهم وينشغلون بابداعهم عن الضجيج والفوضى.

أحببت أن أطلق عليه هذا اللقب، «صانع المعاجم»، فمن أروع ما قام به «مليطان» هو جهد تعجز عنه المؤسسات، وتنؤ بحمله العصبة من الرجال، لقد أنجز هذا المبدع للذاكرة الثقافية الليبية معاجم ثمينة لاتقدر بكنوز الأرض، وأسس لنا مكتبة تزدحم بالمعرفة كما يزدحم صاحبها بالهدؤ .

التقيته على الفضاء الالكتروني فكان لي معه هذا الحوار :

❖ 39 مؤلف ، هي حصيلة مليطان من الكتب والمعاجم حتى الآن، هل لنا بمعرفة أقرب أبناءك إليك ؟

أقربها ما أرى أنه يسدي بعضاً من حق

وطني ليبيا علي، وهي المعاجم التي حاولت من خلالها رصد منجز المبدعين الليبيين، والذين يعود لهم الفضل الكبير في انجازها، فلولا منجزهم في الشعر والقصة والمسرح ما كان «معجم الشعراء» ولا «معجم القصاصين»، ولا «مدونة المسرح الليبي»، ولكن على الرغم من الجهد الذي بذلته فيها فإن الجهد العلمي البحثي هو الأهم بالنسبة لي، لأنني من خلاله أنسى كل ما حولي وأعيش بين المصادر والمراجع، أبحر في عوالمها، وأكتشف الجديد الذي يجعلني أسبح في بحار أخرى متنقلاً بين مصادر ومراجع جديدة، البحث متعة لذيذة لا يستشعرها إلا ممارسها .

❖ عندما بدأت في إعداد معجم الأدباء الليبيين، أتذكر أنك اتصلت بنا جميعاً، وكنا نصاب بالذهول ونحن نتخيل صبرك ودأبك في تجميع البيانات، هل تعتبر المعجم عملية خلق لجزءٍ من ذاكرة وطن ؟

خالقو الذاكرة الوطنية هم المنجزون للإبداع الليبي الذي رصدته، ورصد المنجز يسهم بلا شك في حفظ الذاكرة، لكن الاستمرار في المنجز الابداعي الذي يتابع تحولات المجتمع ويعالج قضاياه يتطلب مواصلة الرصد والتتبع وهو ما لا استطيع ملاحقته كفرد، صحيح أنه يسهل مهمة النقاد في تتبع ودراسة هذا المنجز، لكنه ليس أكثر أهمية من الابداع ذاته، المنجز من المعاجم عمليات إحصاء ورصد، ولولا وجود ما يمكن رصده وإحصائه ما كان ليكون، وهذا بالطبع لا يقلل من قيمة الأعمال من هذا النوع، وهي كثيرة في الثقافة العربية والعالمية، فقد منحت كثير منها فرص التعرف على المنجزات الفكرية والإبداعية مما هيأ فرصة دراستها ونقدها والتعرف على منجزيها، ولا أحد يمكنه الاستغناء عنها بالطبع في مجال الرصد والتعرف على سير أصحابها، وهنا يمكنني التذكير على المستوى المحلي بالكتاب القيم الذي أصدره الكاتب المصري «محمد الصادق عفيفي» عام 1957م، وكان بعنوان «الشعر والشعراء في ليبيا» حين كان يدرس بليبيا في تلك الفترة، حيث ترجم لعدد من الشعراء الليبيين الذي لا يزال بعض منهم حتى اليوم غير معروف إلا بما كتب عليه «عفيفي» من أسطر قليلة في كتابه، ولا يزال شعرهم حتى الآن متناثراً، وهنا تجدر الإشارة إلى شاعرين مهمين انبرى أخيراً بعض الجادين لإخراج أشعارهم في كتب وهما «أبوسيف مقرب» و«محمد بشير المغيربي»، ولا أقول بالطبع إن الفضل يعود إلى «عفيفي» وكتابه بقدر ما يعود لأصحاب هذه الأعمال المنجزة، لكن يبقى لعفيفي فضل المحافظة على ذاكرتنا الشعرية الليبية.

❖ في الكثير من كتبك، لاحظت حرصك على وجود تقديم يكتبه مختص، ألا ترى أن التقديم قد يشاركك في إبداعك؟ خاصةً إذا كان جيداً

وبليغاً .؟ خاصةً وأن من قدموا لكتبك أسماء كبيرة مثل «فاروق شوشة»، و«علي عقلة عرسان» وغيرهما .

التقديمات التي حظيتُ بها من قبل كبار الأدباء والكتاب العرب كانت تشريفاً كبيراً لي، والذي قصدته من وراء هذا التواصل مع هذه القامات الأدبية الكبيرة أمثال «عبد الكريم غلاب» (المغرب)، و«أبو القاسم كرو» (تونس)، و«فاروق شوشة» (مصر)، و«صلاح نيازي» (العراق)، و«عز الدين المناصرة» (فلسطين) و«جورج جرداق» (لبنان)، و«علي عقلة عرسان»(سوريا) . هو بالدرجة الأولى للفت الأنظار إلى المنجز الليبي، بمعنى أن القارئ والكاتب العربي في هذه البلدان سيتعرف من خلال تقديمات كتابه الكبار أن هناك كتاب ليبيون كانوا يتفاعلون مع ما يحدث في بلدانهم. إنني أتألم كثيراً عندما أتصفح دراسة عن الشعر العربي الذي تفاعل مع الجزائر في ثورتها العظيمة ولا أجد ما كتبه شعراء ليبيا عن ذلك الحدث العظيم، وهو ذات الألم الذي يعتصرني وأنا أتصفح ما كُتب عن القضية الفلسطينية ولا أجد من نصوص شعراء ليبيا الكثيرة التي كتبت عن فلسطين ونضال شعبها شيئاً، وكذلك خلو ما كتب عن إجلاء الفرنسيين عن تونس، أو ما مرت به العراق من أحداث، ولا من تغزل بنهر بردي. وخلوها من نصوص الشعراء الليبيين الذين تفاعلوا مع ما كان يجري في محيطهم، فالباحث العربي في هذه الأقطار سيهتم بهذه الكتب عندما يجد على غلافها تقديم قامة من قامات بلده .

وحرصت كذلك على أن تصل هذه الكتب إلى الجامعات العربية والمؤسسات الثقافية بجهدٍ شخصي لتكون متاحة أمام باحثيها حتى يعرفوا أن شعراء وكتاب ليبيا حاضرون بنصوصهم في كل ما مر بهم من أحداث ومتغيرات، وهي تتيح للنقاد كذلك فرصة دراسة نصوص مجتمعة في موضوع واحد يصلح لأن يُدرس فنياً وإبداعياً ضمن كتب

ودراسات علمية .

❖ شاركت أكثر من مرة في تأليف كتب وموسوعات، كيف تصف لنا تجربة المشاركة في تأليف كتاب؟

التأليف المشترك مهم جداً، لكننا في ليبيا لم نعتده إلا ما ندر، وفي التأليف المنهجي ـــ أقصد الكتب المنهجية التي يشترك في تأليفها أكثر من كاتب ـــ وهي مسألة مهمة للغاية في شأن الكتب التي توضع للطلاب كمنهج دراسي، لأن تظافر جهود مجتمعة سيكون لها انعكاسها الايجابي على قيمة المحتوى الذي سيقدم، أما خلاف ذلك فقليل جداً، وكثيراً ما كنت أطرح على زملائي في الجامعة أن يقوموا بذلك لما فيه من أهمية علمية واقتصادية، أيضاً فالاشتراك في تأليف كتاب ستكون كلفة طباعته غير مرهقة مادياً،

إلى جانب أن هناك دراسات وأبحاث صغيرة مفردة تتسم بطابع مشترك من حيث الموضوع وبالتالي فإن جمعها في كتاب مشترك سيحقق فائدة علمية للقارئ بتعرفه على آراء مختلفة في القضية أو الموضوع الذي يطرحه أو يتناوله الكتاب، أيضاً من أسباب عدم وجود هذا يعود إلى عدم اهتمام مؤسساتنا العلمية بتشكيل ما يعرف بنظام الفرق البحثية التي تشكلها تلك المؤسسات لدراسة وتتبع القضايا والموضوعات والظواهر المجتمعية المهمة، وغياب الأعلام الليبية على الموسوعات العربية يعود إلى عدم اهتمامنا بتصدير أعلام ليبيا ضمن عمل موسوعي وطني.

المدن الليبية التاريخية تسجل أيضاً غيابها عن المعاجم الجغرافية العربية والعالمية، بسبب غياب معجم جغرافي تاريخي علمي يعرّف بمدننا ليكون متاحاً أمام المؤسسات العربية العالمية المعنية بهذا الشأن. هذا كله يعود إلى غياب التأليف المشترك الذي يمكنه أن يغطي بجهد جماعي هذه الجوانب، لأن العمل الفردي يبقى ناقصاً أو ربما قاصراً أمام الجهد الجماعي، والعمل الجماعي لا بد أن يكون من وراءه مؤسسة ترعاه بالطبع، أما عن مساهمتي المتواضعة في هذا الشأن فكانت عبر مؤتمرين : الأول كان في الجزائر عن اللغة والتواصل، وقد صدرت أعماله في كتاب «ندوة مساهمة اللغة العربية في التواصل والتضامن والوحدة بين أقطار المغرب العربي»، ضمن منشورات المجلس الأعلى للغة العربية (2002م) والثاني في تونس عن الرقابة، وقد صدرت مشاركتي ضمن الكتاب الذي صدر بعنوان «الرقابة الذاتية والرقباء بين السياسي والديني في البلاد العربية» عن مؤسسة «التميمي» للبحث العلمي والمعلومات، تونس (2006م)، إلى جانب مساهمتي في الكتابة عن بعض الأعلام الليبية ضمن «موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين» التي تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تتخذ من تونس مقراً لها .

❖ أبدعت في إنجاز ثلاثة معاجم، عن الأدباء والشعراء والقصاصين. من خلال معاملتك واحتكاكك مع المبدع الليبي أثناء إنجازك لهذه المعاجم الثلاثة، كيف تصف تعامل واستجابة المبدع الليبي بشكل عام ؟

الشخصية الليبية في العموم شخصية مختلفة، ليست حريصة على الظهور - إلا ما ندر - لذلك فالكاتب الليبي يحجم كثيراً عن تقديم نفسه للآخر، فلا ترى إلا ناذراً من يضع موجزاً لسيرته وصورته على غلاف كتابه، وعندما فكرت في إعداد المعاجم بدأت أتلمس هذه الخاصية في شخصية الكتاب الليبيين وهي الانطوائية والانزواء بعيداً عن الأضواء . لا أذكر أن كاتباً ليبياً واحداً انهيت مهمتي معه في لقاء أو اتصال واحد. وهي معاناة لا يمكن تصورها إطلاقاً، بعضهم يرفض وبشدة أن يعطي معلومة واحدة عنه، والعلمية تقتضي أن يكون الاحصاء الذي تقدمه دقيقاً ولا تغفل أو تتجاوز أحداً، فأجمع حوله معلومات بطريقتي وأعرضها عليه، حينها يبادر بتصحيح ما وقعت فيه من أخطاء، وهكذا .

آخرٌ يعطيك معلومات ناقصة، فتضطر للعودة إليه مرة ومرات، طبعاً الأمر ليس متعمداً، فقط هي هكذا تركيبة الشخصية الليبية، ولذلك لا ينفع مع الكاتب الليبي أن ترسل له آخر لتطلب منه معلومات عنه أو أن تطلب منه أن يملأ لك استمارة جمع معلومات كعادة

كل الأعمال من هذا النوع ، أتواصل شخصياً مع الكاتب ولعدة مرات، و(يادوب)، لكن يوم أن أصدرت المعجم لقيت ما لم أتوقع من الاهتمام. أغلبهم كتبوا عن المعاجم ترحيباً ونقداً علمياً لا أنكر أنني استفدت منه كثيراً، فقط «محمد وريث» و«محمد الكيش» من كتبوا بإساءة بالغة لي شخصياً، وتقليلاً من قيمة العمل، وأنا أعرف جيداً ما وراء ذلك، وقد كتبته في مذكراتي التي ستنشر إن كان في العمر بقية مع نهاية هذا العام .

❖ من التاريخ إلى الفكر الاسلامي ثم الفلسفة، هل أتعبت هذه الرحلة الطويلة فارسنا في هذا اللقاء؟ وبصفةٍ عامة، ما الذي يمكن أن يُرهق الباحث ؟

أنا لست موسوعياً كالكثير من الرواد الكبار في بلادنا الذين طرقوا أكثر من مجال في ظروف كانت البلاد تعيش مرحلة ركود كبير وعزوف عن التأليف، على نحو ما وجدناه عند «التليسي» مثلاً الذي مارس النقد والترجمة والتأليف التاريخي والمعجمي إلى جانب كتابة القصة والشعر، و«المصراتي» الذي كتب في التاريخ والتراجم والقصة والنقد والأدب الشعبي، و«خشيم» الذي كتب في علم الكلام والفلسفة والتاريخ والتصوف والترجمة وتحقيق التراث، والدافع لذلك كانت وراءه أسبابه، فقد حدثني «التليسي» رحمه الله و«المصراتي» ــ أطال الله في عمره كذلك ــ أن الفراغ الذي كانت تعانيه البلاد في مرحلة من المراحل كان يستوجب أن يتطرقوا لأكثر من موضوع، ولعلك تلاحظ أن جهودهما كانت تنصب في إطار الهوية الوطنية، كان هناك فراغ كبير في الشأن الثقافي لا بد أن يملأ بما يمكن أن يلتف حوله الناس لتتشكل هوية ليبية تضمن التفاف الناس حول مقومات ثقافية جامعة، بالطبع لست هؤلاء قطعاً، كما أن الظرف مختلف تماماً عن تلك الظروف، لكنني شعرت بأن هناك فراغات لا بد أن تسد، فحاولت أن أسهم بالقدر الذي أستطيعه، خاصة في شأن التراجم والسير وجمع المتناثر من التراث الأدبي الليبي، خاصة وأن الدولة للأسف ليست لها مشاريع من هذا القبيل، فعلى الرغم من وجود دار الكتب الوطنية التي اعتنت في فترة من الفترات بإصدار البيبلوغرافيا الوطنية ذات الأهمية البالغة في رصد الواقع الثقافي، إلا أنها تركت لحالها دون أن تدعم بالإمكانيات المادية وتوفر لها الظروف الملائمة للعمل في هذا الاطار لكي تحقق المنجز الوطني المطلوب.

❖ تعمل استاذاً جامعياً، الطلبة، هل يمكن اعتبارهم الجمهور الأول للمبدع ؟أم أنهم مادة الكتابة الأولى بالنسبة له ؟

للأسف تغيرت الظروف ..لم يعد هناك طلاب علم يمكن أن يعول عليهم لبناء المستقبل ..نادراً ما تجد طالباً يتجاوب معك ويتفاعل مع ما تقول ...الطالب اليوم كل مطالبه أن يحصل على درجة النجاح التي تؤهله ليحصل على الشهادة الجامعية لا غير، الطالب أصبح حلمه وطموحه أن يحصل على 50% من درجة النجاح لينهي معك المادة ويتحول إلى الفصل أو السنة التالية، الطالب الذي لا يجعلك تعود إلى بيتك لتعيد قراءة كتبك ليس طالباً، الطالب الذي لا يدفعك إلى العودة إلى المصادر والمراجع ليس طالباً. وهذا له انعكاساته الخطيرة جداً على الأستاذ الجامعي أيضاً ..لأن وضع الطالب

بهذه الطريقة سيحد من كفاءة الأستاذ، وسيجعله يعيد ويكرر ما لديه من معلومات على طلابه وفي كل الفصول والسنوات دون أن يجدد من محتوى مادته العلمية أو يحدث من مضمونها، فالطالب المثالي يسهم هو أيضاً دون أن يدري في التطوير من قدرة الأستاذ الجامعي، ويحسن من مستوى أدائه من خلال تفاعله مع الأستاذ وما يقدم له خلال محاضراته.

الأستاذ الجامعي الذي يقابله طالب حقيقي يسأل ويدقق ولا يسلّم بما يقوله الأستاذ، بل يناقشه ويستفسر عن أدق المعلومات، سيكون متميزاً لا شك، وسيظهر الفرق بينه وبين غيره من الأساتذة الذين يلقون دروسهم على المقاعد الخشبية، لذلك فإن أساتذة الاجتماع سيجدون في هذا النموذج من الطلاب مادة خصبة لدراسة العديد من الظواهر في هذا الشأن.

أقول هذا بمنتهى المرارة، للأسف الشديد لم تعد الجامعة جامعة للتنافس والبحث والعطاء الحقيقي والتفاعل العلمي بل هي مجرد مرحلة على الطالب أن يجتازها ليلج سوق العمل، لذلك ترى تدني مستوى الأداء المهني في جميع مؤسساتنا .

❖ في سيرتك الذاتية الثرية أنك عملت مديراً لفرقة مسرحية ذات يوم، هل قدم لك المسرح ما أعانك في مسيرتك؟

المسرح مدرسة الحياة والواقع، وأغلب الذين مارسوا العمل المسرحي تفوقوا في مسيرة حياتهم، أنا مارست العمل المسرحي إدارة فقط، ولفترة محددة، لكنني مع ذلك استفدت كثيراً، ربما «مدونة المسرح الليبي» كانت إحدى الثمار التي جنيتها من تلك العلاقة .

❖ عملت رئيساً لتحرير أكثر من مطبوعة، وكذلك رئيساً للهيئة الليبية العامة للكتاب، ورئيساً لمجلس إدارة شركةٍ إعلامية، هل تعتقد أنه من المفيد للمؤلف ومنجز القواميس والتراجم أن ينشغل بالإدارة؟ أم أنها حصيلة معرفية أخرى، كرافدٍ يخدم النهر ؟

العمل في إطار المؤسسات يعطيك براحاً كبيراً لتنفيذ الأفكار التي تراودك، خاصة في ظل الاستقرار. فكثير من الأعمال تتطلب جهداً وإمكانيات مادية لا يستطيع الفرد أن يقوم بها بنفسه، لكنه إذا ما كان على رأس مؤسسة وفي نيته أن ينجز ما يخدم وطنه، سوف ينجز بلا شك بتسخير امكانيات المؤسسة التي يرأسها لخدمة مشروعه الوطني والثقافي، ثمة أفكار كثيرة كنت أحلم بتحقيقها من خلال تلك الصحف والمجلات وكذلك المؤسسات التي رأستها، لكن عدم الاستقرار وعدم توفر الإمكانيات حال دون تنفيذها، وقد حاولت خلال مسيرتي المتواضعة في العمل المؤسسي أن أنجز بعض تلك الأفكار لكن الظروف والامكانيات والزمن الذي تهيأ لي لم يكن كافياً لتنفيذ كل تلك الأفكار والمشاريع الوطنية، لكنني وبحمد الله استطعت أن أنجز على نحو شخصي من خلال نشاط دار صغيرة هي «دار مداد» أن أنشر أكثر من ستين كتاباً لعددٍ من الكتاب الليبيين، لعل أهمها إعادة طباعة البواكير الأولى في الإبداع الليبي حيث أعدت نشر ديوان «مصطفى بن زكري» بعد قرابة 120 سنة من صدور طبعته الأولى عام1892م ومجموعة «نفوس حائرة» لعبد القادر أبوهروس بعد نصف قرن من صدور طبعتها الأولى عام 1957م ورواية «اعترافات إنسان» لمحمد فريد سيالة بعد ما يقرب من

نصف القرن أيضاً من صدور طبعتها الأولى عام 1961م، ومسرحية «عمر المختار» لعبدالله القويري بعد نصف قرن أيضاً من صدور طبعتها الأولى عام 1959م.

تخيل إذاً لو كانت قد صدرت عن مؤسسة، لكانت في طباعة أفخم، وصاحبها ترويج ودعاية وندوة علمية عن الابداع الليبي في الشعر والقصة والرواية والمسرح، لما تمثله هذه الأعمال الرائدة في تاريخ الثقافة الليبية، هذه الأعمال كنت أنوي أن أبدأ بها إصدار «سلاسل الإبداع الليبي» عن الهيئة العامة للكتاب حين كلفت برئاستها، لكن عدم استمرارها وعدم دعمها حال دون ذلك فأصدرتها على نحو خاص.

هذا ما استقدته من المؤسسات الرسمية، وهو بكل تواضع درس مهم مفاده أن الفرد بإمكانه أن يكون مؤسسة بلا مؤسسة إذا أراد أن ينجز .

❖ كتبت للإذاعة مرات عديدة، هل «عبدالله مليطان» الذي يكتب ويؤلف ويجمع ويدقق، هو نفسه «عبدالله مليطان» الذي يقف وراء الميكروفون ؟

الإذاعة شيء آخر مختلف تماماً، خاصة المباشر من برامجها، الذي يتطلب حضوراً ذهنياً وقدراً عالياً من الكفاءة في التعامل مع مختلف المستويات التي ستتواصل معك مباشرة دون وسيط، أما بالنسبة للبرامج المسجلة فإنها تتطلب في شقها المسموع جهداً بالغاً لتجعل المتلقي كأنه يراك أو بالأحرى يرى بعينه ما تقول مجسداً ماثلاً أمام ناظريه، تجربتي شخصياً كانت طويلة ولم تخرج عن اطار البرامج الثقافية وتحديداً الثقافة الوطنية، الكاتب الليبي وإبداعاته والكتاب الليبي ودائرة اهتمامه، وهو ما جعلني أتواصل بشكل مباشر مع كل الفاعلين في مجال الثقافة إبداعاً وكتابةً وصناعةً إلى جانب التواصل مع المتلقي الذي كثيراً ما كنت أردد أنني أراه الأستاذ الذي أتعلم منه.

كنت أتعامل مع شرائح مختلفة : الكاتب

(بمختلف اهتماماته)، وصانع الكتاب (المطابع ودور النشر) والمتلقي (قارئاً ومستمعاً ومشاهداً)، والكتابة لغير الإذاعة أيسر كثيراً ومخاطبك واضح، أما بالنسبة للإذاعة فلا تعرف من يسمعك ومن يشاهدك، ولذلك إذا ما أردت أن تتجه إليها فلا بد من أن تعد للأمر عدته، لقد حاولت وصمدت في ظل أصعب الظروف وأكثرها حساسية لأكثر من ربع قرن ودون توقف ولله الحمد، لكن مع الزمن سينسى الجميع كل الذي قدمته، لكنهم سيذكرون المعاجم على الأقل، لأنهم سيجدونها أمامهم، لكن ما أذيع عبر الأثير فلن يعاد إلا إذا جاء عرضاً أمام أحد الأوفياء وهو يقدم برنامج ذاكرة الإذاعة .

❖ شاركت في دورتين لمؤسسة «البابطين» الشهيرة، من خلال هاتين المشاركتين، هل روادك الأمل يوماً بأن ترى رجل أعمال ليبي - وعبد العزيز سعود البابطين رجل أعمال في الأساس - يتجاوز أفق المكسب والخسارة ليبني مؤسسة ثقافية سامقة كما فعل هذا الرجل، وبعبارة أخرى، متى يتنفس رأس المال الليبي ثقافةً ؟

هذا موضوع يتعلق بمسألة الوعي العام والتراكم الثقافي والمعرفي، وهو لا يحدث إلا في البلدان التي تتمتع بالاستقرار وتولي الثقافة أهميتها ... كثيرون من رجال الأعمال الليبيين يسهمون بشكل كبير في العمل الخيري وهو عمل مقدر ومشرف يستحقون عليه الشكر، وأرقبه باهتمام وامتنان بالغ، لكن لا أحد منهم فكر في انجاز مشروع ثقافي يكون مثمراً على

مـدى الزمـان ويسـهم في دعـم الثقافـة، طبعـاً أنـا لا أقلـل مـن جهودهـم الخيريـة الطيبـة، ولا اتهمهـم بعـدم الاهتمـام بذلـك، لكـن الأمـر يتصـل بوعـي عـام للمجتمع الذي يشـكلون أحد أفـراده.

«البابطـين» ابـن بلـد سـاهمت بشـكل كبيـر في تنميـة الثقافـة العربيـة منـذ زمـن طويـل، ولا أحـد لا يذكـر مجلـة «العربـي» وسلسـلة «عالـم المعرفـة» و«الفكـر العربـي» و«المسـرح العالمـي». الرجـل نشـأ في بلـد وضعـت الثقافـة ضمـن أولـى اهتمامهـا، ورصـدت ميزانيـة ضخمـة لهـا واسـتعانت بأموالهـا بخيـرة الخبـراء والمخططين للسياسـات الثقافيـة فأنجزت عديـد المنجزات، لـو أن الدولـة الليبيـة كانـت كذلـك لربمـا حـذا بعـض رجـال أعمالهـا حـذو البابطـين، ولكانـت لنـا مشـاريع ثقافيـة مماثلـة لمشـروعه الـذي بدأ بالشـعر وتحـول إلـى الدراسـات الاسـتراتيجية، وانشـأ أول وأهـم وأكبـر مكتبـة عربيـة خاصـة بالشـعر نصـاً ونقـداً.

أنـا متفـاءل جـداً رغـم مـا نحـن فيـه بالمسـتقبل الـذي سـتكون عليـه ليبيـا، وسـوف نـرى كثيـراً مـن رجـال أعمالنـا ينجـزون مشـاريعاً ثقافيـة تعـوض سـنوات الجفـاف الثقـافي .

❖ عبـد الله مليطـان صانـع المعاجـم، هـل تمـلأك هـذه العبـارة بالفخـر؟ أم أنهـا تظلـم البقيـة مـن جوانـب إبداعـك الكبيـر ؟

المعاجـم عمـل جماعـي ناجـح، أمـا بشـكل فـردي فلـن تخلـو مـن النقـص والهنـات، مـا دفعنـي للإقـدام عليهـا هـو الفـراغ الكبيـر الـذي تعانيـه البـلاد مـن المؤسسـات التـي ينبغـي أن تعنـى بذلـك، وبالتالـي توجهـت لذلـك لسـد ذلـك الفـراغ، وأنـا علـى ثقـة مـن أنهـا لـو أنجـزت بشـكل مؤسسـي لكانـت أفضـل بكثيـر مـن ذلك، لكـن هنـاك مسـألة مهمـة في هـذا الشـأن تعـود إلى مسـتهدفات وخطـط هـذه المؤسسـات أصـلاً بغـض النظـر عـن مـن يديـر تلـك المؤسسـات، إذا وضعـت مشـاريع حقيقيـة لمنجـز وطنـي وسـخرّت لـه الإمكانيـات، وبالطبـع إذا أحسـن اختيـار مـن يقـوم بإدارة تلـك المؤسسـة سـيتحقق المشـروع وينجـز، لكـن المؤسـف أن الدولـة لـم تضـع في حسـبانها، ذلـك ولـم تحسـن اختيـار مـن يتولـى تلـك المؤسسـات ممـن لديـه أصـلاً إحسـاس وطنـي بخدمـة المشـاريع الوطنيـة في هـذا الشـأن، أو أن الإمكانيـات التـي توضـع تحـت تصـرف المسـؤول غيـر كافيـة لإنجـاز ذلـك .. وهـذا مـا حـدث بالفعـل .وهنـا ينبغـي أن أذكـر بأهـم مشـروع وطنـي أنجزتـه دار الكتـب في سـبعينيات القـرن الماضـي وهـو «دليـل المؤلفـين العـرب الليبيـين»، ذلـك المنجـز المهـم جـداً في تراجـم المؤلفـين الليبيـين الـذي صـدر عـام 1977م بإدارة السـيد «طاهـر الشـويهدي» لفريـق مـن الباحثيـن الجادين الذيـن اسـتطاعوا أن ينجـزوا هـذا العمـل الـذي يعـود لـه الفضـل الكبيـر في إدراج عـدد كبيـر مـن العلمـاء الليبيين في المعاجـم العربيـة الموسـوعية المعنيـة بالتراجـم، والسـبب يعـود هنـا إلـى جهـد الباحثيـن وادارتهـم الحكيمـة التـي تعاملـت مـع المشـروع بإحسـاس وطنـي وحـرص شـديد علـى الإنجـاز، ومـع ذلـك، ورغـم مـا يتملكنـي مـن شـعور بمسـاهمتي في انجـاز عمـل يخـدم وطنـي، فأنـا لا أشـعر بالرضـا عـن مشـروعي البحثـي الـذي أطمـح لإنجـازه فلـو كانـت ثمـة مؤسسـات قامـت بذلـك لتفرغـت بالفعـل للعمـل العلمـي، ولربمـا كنـت قـد أنجـزت مـا يسـتحق .

❖ مـن خـلال تجربتـك الكبيـرة، أيـن ليبيـا مـن البنيـان الأدبـي والثقـافي العربـي؟ هـل لازلنـا علـى قيـد الحيـاة ؟

يبدو أن ثمة لعنة تلاحق ليبيا، قبل الميلاد ـــ وهو ما تعرفه أنت جيداً كمختص في التاريخ القديم ـــ كانت «قورينا» مدرسة فلسفية كبيرة، كانت ملاذاً لدارسي الفلسفة من كل بقاع العالم، وكانت المسارح الكبيرة التي لا تزال خير شاهد مادي على ازدهار البلاد وعمق تاريخها، وكانت .. وكانت، وتعاقبت السنوات لتصبح ليبيا في آخر قوائم البلدان التي تعنى بالثقافة، وها هو الحال كما ترى، بلدان لم تشهد ما شهدته ليبيا من ازدهار ثقافي كبير صارت اليوم كبيرة بمنجزها الثقافي والمعرفي.

إن الحضور الليبي في مسرح الحياة الثقافية اليوم ليست وراءه مؤسسات ليبية، بل جهود أفراد استطاعوا أن يشكلوا حضورهم الثقافي بممارساتهم الفردية وباجتهادهم الشخصي ويحققوا قفزات مهمة دون أن يكون للمؤسسات الليبية أي دور في ذلك، وهي وإن تعد مفخرة لليبيا باعتبار انتمائهم لها، لكنها في نهاية المطاف أعمال فردية تحسب لهم كأفراد . الذي أعنيه هنا أن كل الأعمال المنجزة في هذا الصدد هي أعمال فردية، لأن الأعمال الجماعية تحتاج إلى مؤسسات داعمة، وعدم وجود مؤسسات ترعى الأعمال الجماعية سيحقق غياب ليبيا ككيان وطني . لذلك نرى تفوق كثير من الليبيين في مجالات الإبداع الفردي، على سبيل المثال، في الرواية «إبراهيم الكوني» و«أحمد إبراهيم الفقيه» و«صالح السنوسي» و«نجوى بن شتوان» وغيرهم ممن نال شهرة وحصل على جوائز عالمية وشكل حضوره نقلة مهمة في مسيرة الابداع العربي والعالمي، لكنها تبقى منجز فردي.

المسرح الليبي سجل بدوره غياباً كبيراً عن مسرح الثقافة العربية والعالمية، والأغنية الليبية أيضاً والصحافة، وغيرها من الممارسات الثقافية المهمة التي تتطلب

العمل الجماعي الذي يرتبط بدعم المؤسسات الثقافية الوطنية، حتى في داخل البلاد تلاحظ عدم وجود منجز ثقافي من هذا النوع الذي يتطلب دعم المؤسسات الرسمية، لذلك فإن الحضور العربي والعالمي على الساحة الثقافية هو حضور فردي، بمنجز أفراد وجهدهم الشخصي، وأنا فخور جداً بما حققه كثير من الليبيين على الساحة الثقافية العربية والعالمية، يسعدني جداً الحضور الذي شكله «نجيب الحصادي» في الفلسفة، و«محمد يونس» في اللسانيات واللغة بتفوق كبير، إلى جانب اعتزازي بكثيرين غيرهم من الليبيين الذين شكلوا حضوراً ليبياً في كل المحافل.

❖ هذا سؤال سبق وأن وجهناه للأديب «محمد المسلاتي» في حوار العدد الماضي، وها أنا أوجهه إليك لعلي استمتع بزاوية طرح جديدة، لماذا نخسر مشاريعنا الثقافية مبكراً؟ ولماذا نعلق على حائط ثقافتنا صوراً للمراحيم الذين رحلوا، أو أجبرناهم نحن على الرحيل، مجلة لا ، والثقافة العربية والاسبوع الثقافي وغيرها الكثير، وكيف يمكن أن نتلافى أن نعلق يوماً صورة هذه المجلة بالذات « الليبي» إلى جوارهم . ذات يوم أيضاً ؟

هـذا مـرده لمـا سـبق، هـو عـدم وجـود خطـط ومشـاريع تنمويـة في مجـال العمـل الثقـافي ترعاهـا مؤسسـات دولـة لأن الصحافـة علـى سـبيل المثـال محتاجـة إلـى جيـش جـرار مـن المحرريـن والمخرجـين والمراسـلين، وإمكانيـات ماديـة كبيـرة، ودفـع متواصـل للاسـتمرار، فالأسـبوع الثقـافي رائـدة الصحافـة الثقافيـة الأسـبوعية علـى المسـتوى العربـي لـم تعمـر أكثـر مـن تسـع سـنوات رغـم أهميتهـا في السـاحة الصحفيـة الثقافيـة العربيـة وكـذا «الثقافـة العربيـة» و«لا» وغيرهـا مـن الصحـف والمجـلات التـي كانـت تشـكل نقلـة نوعيـة في تاريـخ الصحافـة الليبيـة وقبلهـا «طرابلـس الغـرب» التـي صـدرت عـام 1868م وهـي صـدرت قبـل «الأهـرام» المصريـة، والتـي توقفـت بعـد مئـة عـام مـن صدورهـا، ألـم أقـل لـك إن ثمـة لعنـة تلاحقنـا ؟، نحـن لا نعطـي أهميـة للتراكـم المعـرفي، ولا نهتـم بذلـك، وقبـل كل هـذا ليـس لدينـا مشـروع يعنـى بالثقافـة ولا بالعمـل الثقـافي مطلقـاً، علـى مـر التاريـخ الليبـي أغفلنـا هـذا الأمـر، لذلـك نعانـي اليـوم مـن قلـة الوعـي الـذي أوصلنـا إلـى مـا نحـن فيـه اليـوم.

الثقافـة والمعرفـة هـي حصـن البقـاء والديمومـة، كل الأشـياء لا بـد أن تركـن إلـى خطـط وتراكـم واسـتمرار، وإلا سـيكون مآلهـا الـزوال، ولاحـظ أن ميـلاد الصحافـة الليبيـة يعـود إلـى مـا يزيـد عـن مئـة وخمسـين عامـاً ولا وجـود لمطبوعـة واحـدة اليـوم يزيـد عمرهـا عـن بضـع سـنوات، فعـلا نعيـش عصـر المراحيـم، الحمـد لله أنـه أتيحـت لنـا فرصـة أن نقـول : كان لدينـا.

❖ في تلـك الأيـام التـي مضـت، اكتشـفت في داخـل مليطـان الأكاديمـي، ومليطـان المؤلـف، مليطـان آخـر ، مرهـف الحـس ، يغنـي مـع «ذكـرى محمـد» ويدنـدن (ميعـاد مانـك فيـه)، كيـف تـرى هـذه الأمـة بـدون إحسـاس مرهـف، وهـل تخشـى مـن مسـتقبلٍ لا أغانـي فيـه ؟

صـوت «ذكـرى» رحمـة الله عليهـا يشـدني كثيـراً، ولا زلـت أذكـر ذلـك جيـداً يـوم أن أحطتنـي بجميـل كرمـك في ربـوع الجبـل الأشـم، الـذي لا يطـرب للفـن الأصيـل عليـه أن يتحسـس أطرافـه فقـد يكـون ميتـاً، واللحـن الليبـي ـــ وهـذا ليـس تعصبـاً ـــ يطـرب الجميـع ويشـدهم.

أتذكـر «محمـد عبـد الوهـاب»، وهـو مـن هـو كفنـان، يـوم أن زار اسـتديوهات الإذاعـة الليبيـة وهـي تسـجل أغنيـة «بعـت المحبـة» حـين أعجـب بمقطـع موسـيقي ليبـي واسـتأذن في اسـتعارته ليضعـه في رائعـة كوكـب الشـرق «دارت الأيـام» التـي لا أحـد إلا وطـرب بسـماعها، لكـن المؤسـف اليـوم – مـع احترامـي الشـديد لأذواق الجميـع – أصبـح سـماع مـا لا يُسـمع هـو السـائد، لتفعـل الصـورة فعلتهـا فتحيـل متعـة الاسـتماع إلـى الطـرب إلـى اسـتمتاع بمشـاهدة الأجسـاد وتضاريسـها محركـاً للغرائـز بـدلاً مـن الإحسـاس بالكلمـات والألحـان، وقبـل ذلـك بالقيـم والصـور الجماليـة لعمـق المعانـي ودلالاتهـا، إذا مـا دخلـت الموسـيقى في مناهـج التعليـم وضمـن درجـات النجـاح والرسـوب، سنرسـب جميعـاً في مـادة الـذوق والاحسـاس.

❖ كلمـة أخيـرة، مـن عبـد الله سـالم مليطـان ذي الـ 56 عامـاً إلـى وجهـه في المـرآة

لا أريـد النظـر في المـرآة لأتذكـر السـنوات التـي مضـت بـكل مـا فيهـا مـن عبـث، بـل أريـد أن أنظـر إلـى الأطفـال التـي لاتـزال في مهدهـا وهـي باسـمةً تناغـي ببـراءة وعفويـة كل مـن ينظـر اليهـا ويحدثهـا متطلعـة إلـى الآتـي الـذي سـيزيل عـن وطنـي همـوم الأمـس وعبـث الأعـوام التـي مـرت بـي وبجيلـي ممـن أمضـوا سـنوات عمرهـم حقـل تجـارب مريـرة حتـى وصلنـا إلـى مـا نحـن فيـه، سـلام عليـك يـا وطنـي وقبلـة علـى جبـين مسـتقبلك المشـرق الـذي أراه في ابتسـامات اطفالـك بنـاة مسـتقبلك النيـر الزاهـر.

أوجلة ..
ماضٍ لا يُقدّر بثمن

هـي مـن المـدن التاريخيـة التـي تشـكل إرثـاً خالـداً سـطره الآبـاء والأجـداد ، وقـد عكـس هـذا الإرث مضامـين الحضـارة بـكل معانيهـا ، وظلـت معالـم هـذه المدينـة شـاهداً علـى عبقريـة الانسـان في افـرازه لعمـارة محليـة حققـت تكامـلاً وتفاعـلاً للإنسـان مـع البيئـة الصحراويـة المحيطـة ، فكانـت رمـزا للأحقـاب التاريخيـة التـي مـرت بهـا عـدة أجيـال عاشـت بهـذه المسـاكن الطينيـة ..

والمدينـة القديمـة بأوجلـة بقيـت شـامخة منـذ أكثـر مـن 3000 عـام تعاقبـت عليهـا الأجيـال تلـو الأجيـال حتـى سـنة 1973 م . ولأنهـا معلـم ذو أهميـة تاريخيـة فقـد رأت «جمعيـة أوجلـة للتـراث» بمسـاعدة الأهالـي أن تقـوم بترميـم تلـك الأحيـاء التـي يتكـون منهـا هـذا المعلـم ، وذلـك بنفـس الأسـلوب والمـواد والتخطيـط ، رغبـة في تحقيـق جملـة مـن الاهـداف ،كتنميـة الوعـي بأهميـة التـراث المعمـاري ، وتنميـة عنصـر الجـذب السـياحي ، وتعريـف المواطـن بأسـاليب البنـاء القـديم ، والتعريـف بعلاقـة المـدن القديمـة بالمتغيـرات الاجتماعيـة والاقتصاديـة ، والمحافظـة علـى الصناعـات التقليديـة والمقتنيـات الشـعبية التـي تمثـل الأصالـة والحضـارة ، إضافـةً إلى مواجهة عمليـة المسـخ والاسـتلاب والتشـويه الحضاري .

فمنـذ سـنة 2004 م وعمليـات الترميـم مسـتمرة لمسـاكن وأزقـة ومسـاجد وآبـار وأسـواق هـذه المدينـة بجهـود ذاتيـة ومسـاهمات مختلفـة، حتـى أصبحـت اليـوم مـزاراً يقصـده السـياح مـن كل حـدب وصـوب. خاصـة بعـد افتتـاح عـدة معـارض بهـا كمعـرض البيـت الأوجلـي القـديم، ومـا يمثلـه مـن حيـاة اقتصاديـة واجتماعيـة وثقافيـة ، والمزرعـة القديمـة التـي يعـرض بهـا النمـاذج الزراعيـة وتاريخهـا مـن أدوات وآبـار ومزروعـات ، أمـا بيـت المجاهـد الـذي يعـرض التاريـخ الجهـادي للمنطقـة فهـو أيضـاً مـن المعـارض ومحتويـات المدينـة القديمـة ، ويزيـد المدينـة أهميـة مـا يحيـط بهـا مـن معالـم مثـل الجامـع العتيـق ، وجامـع عبـد اللّٰه بـن أبـي السـرح ، وبعـض القـلاع والقصـور القديمـة .

أضواء على مهرجان أوجله الثقافي السياحي الخامس ..

في حضنها يسكن التاريخ

تقرير : عمر موسى الفضيل بو عمر. ليبيا
عدسة : السنوسي بن خاشن / وليد عريش

تحت شعار «ثقافة الأجيال و ملتقى السلام» عقد هذا المهرجان في دورته الخامسة خلال المدة من 4ـ2 نوفمبر 2019 تحت إشراف و دعم اللجنة التسييرية للمجلس البلدي بأوجلة، وقد قدم هذا المهرجان دليلاً حياً على مدى قدرة رجال أوجلة على تنظيم هذه النوعية من المناشط الثقافية و السياحية والتراثية، ونال إعجاب الحضور المشاركين وكان فرصة لإثراء ثقافة الأجيال الليبية المتعاقبة، ومناسبة لتوضيح مدى قدرة الليبيين على إقامة سرادق رحب للسلام رغم المعاناة، تعالياً عن الإرهاب و شروره .

كان السبت هو اليوم الأول لانطلاق المهرجان بعد تكامل وصول الوفود بعد صلاة العشاء في الساحة العامة أمام مبنى البلدية الذي تم تطويره عمرانياً، وبدأت فعاليات هذا المهرجان بتلاوة من الذكر الحكيم ثم النشيد الوطني ، ثم تتالت الكلمات الافتتاحية ؛ و منها كلمة السيد / السنوسي عثمان الفضيل

رئيس المجلس التسييري لبلدية أوجله، و كلمة الشيخ /مرعي الحوري نائب رئيس رابطة قبائل الأشراف والمرابطين وغيرهما من الضيوف.

ثم بدأ العرض التاريخي الذي قدمه بعض الأطفال في لوحاتٍ تعكس المراحل التاريخية لأوجله، وصاحب هذا العرض تعليق من الأستاذ / السنوسي بن خاشن ألقى فيه مزيداً من الضوء على كل لوحة، فكانت وجبة تاريخية مميزة، وختم حفل الافتتاح ببعض الشعراء الشعبيين ومنهم الشاعر الشهير جمعة بوخبينة .

أما اليوم الثاني فقد كان حافلاً، و قد انقسم إلى فترتين صباحية ومسائية ،و انطلقت الجلسة الأولى للندوة العلمية الثقافية على تمام العاشرة على مسرح مدرسة أوجله الثانوية حيث قدم الأستاذ الدكتور»فؤاد حمدي بن طاهر» أستاذ علم الآثار ورقة عمل بحثية عن اكتشافه الهام لمقابر الدرب الكبير بأوجلة تعود لبعض من سكان أوجلة القدماء، إذ تم ارسال عينات لإحدى مختبرات الآثار العالمية الجامعية ببريطانيا، وتم تحليلها بواسطة الكربون المشع، وأثبتت النتائج أن هذه الهياكل تعود لسنة 375ق.م، مما يؤكد ما قاله «هيرودوتس» عن واحة أوجله من أنها كانت عامرة بالسكان الذين يمتهنون زراعة النخيل منذ منتصف القرن الخامس ق.م

أما المحاضرة الثقافية الثانية فقد قدمها المذيع المخضرم الأستاذ «علي أحمد سالم»، و كان عنوان محاضرته هو «فن الالقاء»، و من غير هذه الشخصية الثقافية المحترمة ليقدم مثل هذا الموضوع؟ وهو المتخصص فيه ممارسةً و علماً و خبرة، وكانت محاضرته درساً عملياً ممتعاً في هذا الفن، وقابله الحاضرون بكل حفاوة و ترحيب، خاصة بعد عودته لزيارة أوجله من جديد، حيث عمل هناك منذ زمن مساعداً للمخرج «مصطفى العقاد» في تنفيذ شريط عمر المختار.

عقب المحاضرتين تم منح درع تكريمي لكل من الدكتور «فؤاد حمدي بن

طاهـر» والأسـتاذ «علـي أحمـد سـالم»، ثـم انتقـل الجميـع لحضـور افتتـاح معـرض الصـور والمجسـمات و الرسـوم و الأزيـاء و المقتنيـات الشـعبية بقاعـات المدرسـة والـذي لفـت اهتمـام الـزوار و الحضـور.

بعـد صـلاة العصـر انطلقـت فعاليات المدينـة القديمـة ، بتنظيـم جمعيـة أوجلـه للتـراث، حيـث عرضـت شـركات محليـة في السـاحة بعـض أنـواع التمـور بكميـاتٍ تجاريـة، إذ تشـتهر أوجلـه بخمسـين صنفاً منهـا، كمـا تم تقـديم نمـاذج مـن أنـواع الخبـز والأكلات الشـعبية، وعرضـت بعـض المصنوعـات التقليديـة خاصـة مـن السـعفيات .

بعـد صـلاة العشـاء كان الجميـع علـى موعـد مـع الحفـل السـاهر الأول الـذي أحيتـه فرقـة الزمـن الجميـل القادمـة مـن بنغـازي بقيـادة المايسـترو المخضـرم «مصطفى الاسـكندراني»، وقـد قـدم ثلاثـة مـن المطربـين الشـباب هـم «مصطفـى عـادل عبـد المجيـد» و «حسـن البيجـو» و «محمـد اعبيـد»، قدمـوا وصـلات مـن الطـرب الليبـي الأصيـل حـازت علـى رضـا الحضـور .

في صباح اليوم الثالث بدأت الجلسة العلمية الثقافية الثانية بمسرح مدرسة أوجله الثانوية ، و ذلك بورقة بحثية كان موضوعها «إمكانية توظيف النشاط السياحي في أوجله لخدمة السلم المجتمعي في ليبيا» قدمها الأستاذ الباحث «عمر موسى الفضيل»، الناشط في المجتمع المدني ، فشرح في عرضه فوائد السياحة في الحفاظ على الهوية الوطنية و السلم المجتمعي، ثم ركز على واقع النشاط السياحي في أوجله و المعوقات و الإمكانيات الواعدة لتطوير السياحة، و علاقة النشاط في هذه الواحة بنشر السلم المجتمعي في ليبيا، ومكانة أوجله كداعمة للسلم والمصالحة الوطنية، و انتهى العرض بطرح نتائج و توصيات هامة في سبل تنمية السياحة المستدامة في أوجله.

كانت الورقة الرابعة و الأخيرة، ورقةً عن التراث المعماري و الإسلامي لأوجله ، حيث كان موضوعها : المساجد و المنشآت الدينية و الاجتماعية في أوجله

؛ و قدمها الباحث الدكتور «سالم سعود» المحاضر بجامعة الواحات، إذ ركز على جانب هام تتميز به أوجله من ناحية العمارة الصحراوية الأصيلة، و هي المساجد التاريخية و الأضرحة القديمة، فقدم شرحاً وافياً عن المسجد العتيق، و هو أقدم مسجد أثري في ليبيا بقي على هيئته الأولى، و يعود عمره لمئات السنين، و قد وُضع على قائمة التراث العالمي في منظمة الأونيسكو العالمية ، ويوجد رسم له على العملة الوطنية من فئة 20 د.ل، و قدم الدكتور شرحاً عن عدد 13 مسجداً قديماً ؛ ومن أهمها مسجد الصحابي الجليل عبدالله بن سعد بن أبي السرح أحد كتبة الوحي، وأخو الخليفة الراشد عثمان بن عفان من الرضاعة، وقد بني ضريحه بجوار هذا المسجد، و مسجد الفقيه العلامة الصوفي «أحمد زروق الفاسي» الذي أقام بجوار هذا المسجد لبضعة سنين إماماً خطيباً و مفتياً قبل أن يهاجر الى مصراتة .

بعد صلاة الظهر مباشرة انطلقت مرحلة أخرى، وهي فعالية «المزرعة التراثية»، حيث افتتحها كل من رئيس اللجنة التسييرية لبلدية أوجله، ورئيس اللجنة التسييرية لبلدية اجخرة المجاورة، و قد احتوت هذه المزرعة على الخيمة التراثية، وعرضاً رائعاً للعديد من مقتنيات الأجداد وأدواتهم القديمة، ومزرعة تراثية نموذجية توضح طريقة زراعتهم للمحاصيل في الواحة، وقد أدى أدوارهم بعض شباب الواحة بما فيها الأهازيج و الأغاني التي يطلقونها أثناء الحرث و رمي البذور و السقاية و حصاد المحاصيل و تجميع الثمار، وأيضاً كيفية صناعة بعض مقتنيات البيت من مكونات النخيل، والكيفية العملية لاستخراج مشروب «اللاقبي» طازجاً من إحدى النخلات، وغير ذلك كثير، وقد شاركت في فعاليات المزرعة التراثية منظمات خيرية من بنغازي و فزان و جالو و اجخرة و غيرها .

على مسرح في هذه المزرعة عرضت فرقة الجبل الأخضر للفنون الشعبية بعض رقصاتها وأغانيها الشعبية، وقبلها قدمت بعض طفلات أوجلة عرضاً للأزياء الشعبية و للأدوات القديمة، ثم استعرض فرسان «نادي الفضيل بوعمر للفروسية» خيولهم وهم على صهواتها باللباس الوطني التقليدي، وبعضهم بعدة مماثلة لسلاح المجاهدين القدماء، ثم تم اطلاق أسراب من الحمام الزاجل من قبل ناديين بواحة أوجله لهواة تربية الحمام الزاجل .

في مساء اليوم الثالث من هذا المهرجان قدّم عرض للفروسية و سباق للخيل من طرف فرسان نادي الفضيل بوعمر للفروسية، وليلاً جاء موعد الحفل الفني الساهر الختامي، حيث عادت فرقة «زمن الفن الجميل» لتمتع الحضور بمزيد من فقراتها بادئة بمقطوعة موسيقى ليالي ليبيا الذائعة الصيت منذ نحو 70 عاماً، ثم ليعود الطرب بأداء أغنيات بعضها من التراث الغنائي لأشهر مطربي ليبيا الراحلين .

المؤتمر الدولي الأول للدراسات الاقتصادية والسياسية. تحت شعار : الهجرة غير الشرعية : التداعيات وسبل المواجهة .

إنهم بشر فلا تتاجروا بهم

أ.انتصار الجماعي . ليبيا

الأسباب التي تدفع الشخص إلى التفكير بالهجرة متعددة ومتداخلة، منها ما هو اقتصادي ومنها ما هو اجتماعي وآخر سياسي، أما اتخاذ قرارها فهو يمكن أن يكون اختيار طوعياً من أجل تحسين الحياة الاقتصادية والاجتماعية، أم قسرياً نتيجة أسباب سياسية كالحروب والصراعات، وبوجهٍ عام يُعد السعي إلى حياة أفضل، والرغبة في تحسين الأوضاع الاقتصادية من أهم الدوافع للهجرة غير الشرعية التي تدفع الفرد إلى أن يترك كل ماضيه خلفه، وأن يجلس داخل قارب صغير مكتظ بوجوه شاحبة وعابرة، ذاهبة نحو مجهولٍ لا شطآن معروفة ولا مراسي جاهزة في انتظاره، هناك فقط الاسماك التي تستقبل المزيد .

الافتتاح ..

من هنا شهد مدرج «مصباح العروي» بجامعة سرت انطلاق فعاليات المؤتمر العلمي الأول

للدراسات الاقتصادية والسياسية والذي أقيم تحت عنوان الهجرة الغير الشرعية (التداعيات وسبل المواجهة)

شاركت في هذا المؤتمر 24 ورقة بحثية من عدة جامعات ليبية ومن بحاث من الجزائر وعمان فلسطين والإمارات .

وفي سياق اكاديمي بحت تم عقد الجلسات العلمية لتقديم المشاركات وذلك للاستفادة والتقييم الي جانب المباحثات العلمية ، تنوع المشاركات يدل على المعرفة بمخاطر المشكلة الرئيسية التي يدور حولها المؤتمر خصوصاً وأنه قد تم تحديد موعده تزامناً مع اليوم العالمي للمهجرين.

ويهدف المؤتمر الي تسليط الضوء على ظاهرة الهجرة غير الشرعية، وإبراز جوانبها وتداعياتها المختلفة ، ومناقشة الاثار السياسية والقانونية وتداعياتها المحلية والدولية ، كذلك الاثار الاجتماعية والنفسية و تأثيرها على المهاجرين ، وتوضيح الدور الاعلامي وأثره على تنامي الحد من هذه الظاهرة ، وإثراء الجانب الاكاديمي الخاص بدراسة ظاهرة الهجرة غير الشرعية ، ومحاولة الوصول الي آليات وتوصيات لمساعدة الدول على الوصول إلي حل لهذه الظاهرة .

كان للمؤتمر 4 محاور : محور سياسي وقانوني يتحدث عن انتهاكات حقوق الانسان ضد المهاجرين غير الشرعيين ،آلية التعامل بين دول (المصدر، العبور ، المقصد) والمنظمات المحلية والدولية للحد من الظاهرة ، كذلك إدارة الحدود وتأمينها ومكافحة المهربين والمتاجرين بالبشر .

محور اقتصادي تناول الاسباب الاقتصادية للهجرة غير الشرعية وسبل معالجتها، كذلك الانعكاسات الاقتصادية المترتبة على ظاهرة الهجرة وتنامي اقتصاد الظل، وإدارة الموارد والسياسات والاستراتيجيات التي تنتهجها بعض الدول لإدارة الأزمات التي تسببها هذه الظاهرة .

محور اجتماعي نفسي ، وفي هذا الجانب تم طرح الاثار الاجتماعية والنفسية للهجرة غير الشرعية والعوامل الثقافية والاختلاف العرقي وآثاره الاجتماعية على دول العبور والمقصد كذلك علاقة الهجرة غير الشرعية بالجريمة والمخدرات والعنف وانتقال الامراض والأوبئة.

أخر المحاور كان المحور الاعلامي للهجرة غير الشرعية، وهذا الجانب تناول قضايا دور وسائل الاعلام المختلفة في الحد من ظاهرة الهجرة غير الشرعية وتعاطي الاعلام المحلي والدولي مع الظاهرة، كذلك وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في هذا المجال .

البحوث العلمية المشاركة :

البحث المعنون «مدى مسؤولية ليبيا عن مكافحة نشاطات تهريب المهاجرين» المقدم من الدكتور: عبدالناصر الهجاني – استاذ مساعد بكلية الحقوق جامعة السلطان قابوس – سلطنة عمان ، وكان يهدف الي دراسة طبيعة الالتزامات الدولية المفروضة على ليبيا لمكافحة نشاطات تهريب المهاجرين في ضوء بروتوكول مكافحة تهريب المهاجرين ، كذلك الجهود والتدابير المبذولة من ليبيا لتنفيذ هذه

الالتزامات ومن جهة اخري تناول فرضية ما إذا كان التقاعس عن تنفيذ هذه الالتزامات أو تنفيذها بشكل غير فعال من قبل ليبيا كفيلاً بتحريك المسؤولية الدولية ضدها .

واستنتج من هذا البحث أنه من الصعب اثبات مسؤولية ليبيا عن فرضية تقاعسها في تنفيذ هذه الالتزامات ، سواء كان الالتزام بالتجريم أو المنع أو التعاون المنصوص عليه في البروتوكول، والسبب يرجع الي الصياغة المرنة والغامضة التي استخدمت عند صياغة نصوص تلك الالتزامات ، إذ أن هذه الصياغة تمنح الدول الأطراف بالبروتوكول ، بما فيها ليبيا ، السلطة التقديرية في تنفيذ تلك الالتزامات من عدمه علاوة على ذلك ،وهو الأهم، أن ليبيا لديها الإمكانية في ظل هذه الصياغة المرنة والغامضة للالتزامات للدفع بعدم مسؤوليتها الدولية .

كذلك قدم الباحث فاتح راشي – جامعة العربي التبسي – الجزائر بحثاً بعنوان « الشباب والهجرة غير الشرعية .. أليات المكافحة «، وهدف البحث كان لتحديد الأسباب الظاهرة وراء تولي دول الأطراف مكافحة تهريب المهاجرين، واتخاذ تدابير مناسبة وذلك لمنع هذه الهجرة براً وبحراً وجواً، واتخاذ نهج دولي شامل لذلك .

واتضح مما لاشك فيه أن حل هذه المشكلة لا يتم بعصا سحرية، بل نتيجة سياسة وتنسيق دوليين طويلي الأمد يأخذان بعين الاعتبار وضع خطط استراتيجية أمنية وقانونية وإعلامية لمعالجة هذه الظاهرة .

في الورقة البحثية المقدمة من الدكتور عمر عبدالله أمبارك – كلية القانون – جامعة سرت ، مسمي جديد للهجرة وذلك بعنوان « الهجرة غير المشروعة وفق القانون الليبي « وتحدث الدكتور عن كلمة «الغير مشروعة» بصحيحها، وليست «الغير شرعية» ، كذلك تطرق البحث إلى قيام الدول بتشديد الاجراءات على الهجرة المشروعة ، ووضع العراقيل أمام حركة المهاجرين ، حيث ساهم هذا في ظهور الهجرة غير المشروعة ، وتأتي أهمية البحث لمحاولته تسليط الضوء على هذه الظاهرة المعقدة ودراسة المواجهة القانونية لها من خلال إبراز المعالجات القانونية التي أوردها المشرع الليبي في قانون مكافحة الهجرة غير المشروعة رم -19 لسنة 2010 من أجل محاربتها والقضاء عليها ، وجريمة تهريب المهاجرين وآليات تنظيم دخول الأجانب وإقامتهم في البلاد وفقاً للقانون رقم 6 لسنة 1987 .

وركزت الدراسة على الاطار التشريعي والتنظيمي (المؤسسي) لمكافحة ظاهرة الهجرة غير المشروعة كأحد أهم الجوانب، مستهدفة تحليل نصوص القانون 19 لسنة 2010 وبيان أوجه القصور فيه مقارنة ببعض القوانين الحديثة المعمول بها في دول المنطقة ، بالإضافة الي دراسة مدى قدرة الأجهزة الوطنية المختصة على مكافحتها للظاهرة والحد منها ، والتي أصبحت أثارها عالمية تتأذى منها دول المنطقة وتتطلب تضافر جهودها من أجل مكافحتها ، والقضاء على الجرائم المرتبطة بها .

في حين كانت الورقة البحثية المقدمة من طرف الاستاذة انتصار ابوبكر الجماعي – رئيس قسم الجودة وتقيم الأداء – كلية الاعلام والاتصال – جامعة اجدابيا ، تحمل عنوان «علاقة مواقع التواصل الاجتماعي بالهجرة غير الشرعية «، وكان هدف البحث هو التركيز على مستوى أداء الاعلام من وجهة نظر القائمين بالاتصال بالتعامل مع القضايا التي علاقة بالشأن السياسي والاجتماعي كهذه القضية ، وكانت الأهمية مركزةً على حساسية الموضوع باعتبار دقته وصلته العميقة بالمجتمع الليبي بحيث يلامس كافة مناحي الحياة بمختلف اشكالها ، وخلص البحث بنتائج منها احتلال موقع

اليوتيوب المرتبة الأولي، والفيس بوك الثانية ضمن التطبيقات الأكثر تأثيراً في علاقة الاقناع بجدوى الهجرة غير الشرعية ، كما احتلت المواقع الصحفية الرسمية وصفحاتها على الانترنت فاعلية عالية في تبيان الأثار المترتبة عن التفكير بالهجرة من خلال تأثيرات الموضوع بمواقع التواصل الاجتماعي وما فيها من طرح وجذب له. .

في حين جاءت الورقة البحثية للدكتور عبدالناصر عبدالسلام الدهري – كلية الاقتصاد – جامعة المرقب ، بعنوان « أثار ظاهرة الهجرة غير الشرعية على ليبيا والأليات القانونية لمواجهتها ، لتأخذ منحيً أخر حيث تبين خطر الهجرة غير الشرعية على سلامة الدولة الليبية ودول الجوار، وساهم في ذلك تردي الاوضاع الأمنية واختلال الأمن فيها، وعدم مراقبة الحدود الليبية مما أدى الي هجرة العديد من الأفراد داخل حدودها ، الأمر الذي سبب انتشار الجريمة و الاتجار بالبشر والاحتيال والتزوير ، ودخول الجماعات الارهابية داخل صفوف المهاجرين .

بعد ذلك كان لورقة الدكتور زيد الغواري – استاذ القانون الدولي العام – جامعة الشارقة، التي كانت بعنوان « قراءات في سياسة التصدي لظاهرة الهجرة غير الشرعية بين الاتحاد الاوروبي ودول المنشأ والعبور»، ومن المعلومات التي أبرزتها الورقة كون الهجرة غير الشرعية برزت بعد أزمة النفط في عام 1973 ، لتشمل الآلاف من الناس الذين ينتقلون إلي أوروبا من مناطق مختلفة من العالم، وتسببت في اتخاذ الدول الاوروبية قوانين أكثر صرامة لمراقبة حدودها واعتماد مبدأ ترسيم الحدود بين الدول وتنازع المصالح السياسية والاقتصادية ،وزادت مسألة الهجرة حدة وتحولت هذه الظاهرة إلي عالمية يصعب تحديد حجمها وجنسية المهاجرين بها حيث تتضارب التقديرات بشأنها، فالأمم المتحدة تتحدث عن هجرة 180 مليون انسان ومنظمة العمل الدولية تشير تقاريرها الي هجرة 120 مليون انسان مع تحولها الي ظاهرة تقض مضاجع الحكومات والدول والمنظمات الدولية التي حاولت ابتداع حلول بعد تشخيص الأسباب، ونظمت اتفاقيات ثنائية ودولية مع البحث على الحفاظ على حقوق المهاجرين الانسانية في شتى الميادين .

وفي نهاية المطاف :

الشي الذي يجب أن يُذكر هو أن جميع الورقات البحثية كانت بالمستوى المطلوب في شرح القضية ومحاولة التماس الحلول لها ، وفي الحقيقة أنه كان مؤتمراً علمياً قائماً على البحث العلمي الصرف، برصانة و موضوعية، واستفاد الجميع من حلقات النقاش و التجاذبات العلمية ، وأختتم بتوصيات ذات علاقة وطيدة بالظاهرة في محاولة لإيجاد حلول لها، لو قامت الجهات المسؤولة بالعمل بها، وهذه التوصيات هي :

1. العمل على تحديث منظومة

التشـريعات الوطنيـة المتعلقـة بمكافحـة الهجـرة غيـر الشـرعية بمـا يوائـم التطـور الـذي وصلـت إليـه الظاهـرة وبمـا يوائـم المعاييـر الدوليـة لحقـوق الإنسـان.

2. إعـادة النظـر في القانـون رقـم 19 لسـنة 2010 بشـأن مكافحـة الهجـرة غيـر الشـرعية مـن خـلال تشـديد العقوبـات وفـرض غرامـات ماليـة علـى كل مـن يثبـت تورطـه في عمليـات تهريـب البشـر والتنظيمـات التـي تمتهـن الهجـرة غيـر المشـروعة وتـروج لهـا ومعاقبـة كل مـن سـاعد أو سـاهم أو اسـتغل وظيفتـه في عمليـةتهريـبالمهاجريـنغيـرالشـرعيين.

3. العمـل علـى تفعيـل الاتفاقيـات الدوليـة والاقليميـة المختصـة، للحـد مـن ظاهـرة الهجـرة غيـر الشـرعية وحمايـة اللاجئـين الموقعـة بـين ليبيـا ودول الجـوار.

4. العمـل علـى تعزيـز التعـاون الدولـي في مجـال تبـادل المعلومـات والبيانـات ذات الصلـة بالهجـرة غيـر الشـرعية ومهربـي البشـر، الأمـر الـذي يسـاهم في مكافحتهـا والحـد منهـا.

5. علـى دول المصـدر إقامـة جملـة مـن الإصلاحـات الجوهريـة فيمـا لـه علاقـة بالحريـات العامـة والفرديـة، وإقامـة برامـج تنمويـة تسـتثمر فيهـا المدخـرات الطبيعيـة والوطنيـة والثـروة البشـرية.

6. السـعي لحـل المشـكل السياسـي والأمنـي في ليبيـا وتحقيـق المصالحـة الوطنيـة وفـرض السـيادة علـى وحـدة التـراب الليبـي وحمايـة الحـدود.

7. إعـداد قاعـدة بيانـات للهجـرة غيـر النظاميـة مـن قبـل الأجهـزة الليبيـة المسـؤولة، تتضمـن أعـداد المهاجريـن وجنسـياتهم وتوزيعهـم الجغـرافي في ليبيـا ومؤهلاتهـم العلميـة والمصاريـف التـي تتكبدهـا الدولـة عليهـم، وإن كانـت هـذه القاعـدة منفصلـة عـن قاعـدة بيانـات الهجـرة النظاميـة والمتاحـة علـى الشـبكة الدوليـة للمعلومـات.

8. العمـل علـى خلـق اسـتثمارات في دول المصـدر بالتعـاون مـع برامـج الأمـم المتحـدة للإنمـاء.

9. الشـروع في وضـع لائحـة قانونيـة تتيـح التحصيـل الضريبـي المؤقـت مـن المهاجريـن غيـر النظاميـين لحـين تسـوية أوضاعهـم في الإقامـة مـع حفـظ حقوقهـم في حـال رفـض إقامتهـم.

10. التركيـز علـى برامـج التوعيـة لـدى المواطنيـن مـن أضـرار الهجـرة غيـر الشـرعية المتمثلـة في انتشـار الأمـراض والجرائـم.

11. توعيـة أفـراد الشـعب والأجهـزة الامنيـة التـي تتعامـل مـع المهاجريـن غيـر الشـرعيين باحتـرام آدميـة الإنسـان واتبـاع الطـرق القانونيـة دون تحقيرهـم أو ابتزازهـم أو النيـل منهـم.

12. معالجـة مشـاكل الشـباب الليبـي وتحسـين أوضاعهـم المعيشـية والقضـاء علـى البطالـة وخلـق فـرص جيـدة تضمـن لهـم حيـاة كريمـة.

13. تكثيـف التعـاون بيـن المؤسسـات الأمنيـة والإعلاميـة لمكافحـة ظاهـرة الهجـرة الغيـر شـرعية مـع دول الجـوار مـن خـلال تبـادل الخبـرات حـول كيفيـة التعاطـي مـع تلـك الظاهـرة وتشـديد الإجـراءات التـي تحـد مـن تفاقمهـا.

14. عمـل خطـة إعلاميـة متكاملـة مـن خـلال وسـائل الإعـلام تتنـاول التوعيـة بمخاطـر الهجـرة غيـر الشـرعية.

15. تعزيـز آليـات مكافحـة الهجـرة غيـر اشـرعية عبـر مواقـع التواصـل الاجتماعـي بتكثيـف الحمـلات التوعويـة والممولـة لهـا.

16. ترجمـة التوصيـات إلـى اللغـات الإنجليزيـة والفرنسـية والإيطاليـة وإحالتهـا إلـى الجهـات ذات العلاقـة.

.. ولم يُمتّع بالشبابِ

لن نكتب أنه مات، فالموت فعل غياب، لكن محمد ساسي سيكون حاضراً في كل شاب ينجح في اقتلاع حقه الطبيعي في التوهج من أنياب أسود التجاهل والإحباط .
سنحذف الكلمة الأولى من عجز بيت أبي فراس الحمداني ونبقي على بقية الحكاية وأصلها وفاجعتها وحقيقتها المرة كالحنظل . لم يُمتع بالشباب .

مجلة الليبي.

محمد سامي
December 24 at 10:38 AM
نقرة الحزن الكئيبة
تملأ الوجدان ريبة
تحتشي من ذكرياتي
تحتويني كالحبيبة
وتنادي في شجون
ما بها الدنيا غريبة
يا إلاهي دقرتني
في بلاد الموت طيبة
#محمد_سامي
محمد سامي
December 26 at 12:40 AM
يا فاتنة!
حولي الكناسة
وقسة الإنسان في همو الأنا
لكنك
رغم الليالي حملتي
في داخلي
مسئولية
يا فاتنة!
يا فاتنة
يا فاتنة
#محمد_سامي
قم يا فؤادي
إذا دمعُ الأنا انفرط
قل للمحبّة
قد أرهقتني شططا
عقلي يَذوبُ
ولم يقدز على جسدي
قد خازكلي
فضع للهائم الخُطط
قف..
ليس نبضك ما أرجوهُ.. معذرةً
لكنها الروح...
ماتتْ؟ ...
أيقظ القطط
#محمد_سامي
محمد سامي
November 11
التذعْنا_ إذْ خُدِعنا
أيها الحبُّ .. فدَعْنا
لم يعُد للعيش طعمٌ - لم
يعُد للموت معنى
#محمد_سامي
محمد سامي is feeling blessed.
November 20
وإني قد أرى عند اعتزالي
بلالًا
وهو بعضٌ من نزالي
سلام الروح يا روحي عليكم
#محمد_سامي
محمد سامي
Wednesday at 9:33 PM
ويلٌ الذي عشق الرشا وأطال
يمشي الهوينة ينظرُ الأكلال
تأتيه مُوشِيَة القِطاف رشيقة
لميهم في جسدٍ .. وجيدٍ طال
#محمد_سامي
محمد سامي
December 23 at 8:12 AM
فتاتي من تهدّت لي القصيد
و أكتبها على قلبي الصغير
لها نفسٌ جميلٌ شدّ عقلي
و ما شدّ الشفاة من الصغير
#محمد_سامي
2016
محمد سامي
November 11
حبة!!!!
لو يا فؤادي تستكين
تُترك الحبّ
و يقد الياسمين
لا تُعِدْ لي النبض
أو دون الهوى
أعِد النبض صفيّ الوتين
#محمد_سامي
محمد سامي
November 11
حبة!!!!
لو يا فؤادي تستكين
تُترك الحبّ
و يقد الياسمين
لا تُعِدْ لي النبض
أو دون الهوى
أعِد النبض صفيّ الوتين
#محمد_سامي
محمد سامي is feeling bad.
November 14
سألتهمُ الغرارَ وأقتليني
كمنحوتٍ من الحجر الدفين
حوى قلبًا تحوّل بعد ضيمٍ
إلى صمتٍ يئنُّ من الحنين
#محمد_سامي
محمد سامي
November 15
للذين لم يبالوا بحجم هذا البؤس
واستغلوه أين كانت النتيجة
لغاية في نفسهم
خذوا غابتكم وغادرونا, وإن تكن
الروح
#محمد_سامي

القات بين علامتي استفهام ..

جهنـــم اليمـــن أم جنتهـــا ؟

الليبي ـ وكالات .

هل القات هو اليمن؟ أو هل اليمن هي القات؟ طبعاً لا نعتقد ذلك، فاليمن تاريخٌ طويل، وماضٍ عريق، وسيرة مشرّفة، وليس القات سوى ندبةٍ صغيرة في وجهٍ بالغ الحسن . ولكن، هل القات فعلاً ندبة ؟

إن هذه الندبة هي ذاتها ذلك السؤال المحير، فهي ليست كذلك في عيون مناصريها، بل هي مصدر دخل قومي، وعلامة مسجلة لا ينبغي الخجل منها، إنها المشكلة التي يقول مناصروها إنها إرث قديم عتيد، وليست مجرد ظاهرة اجتماعية خطيرة.

من يتناولونه يبررون : القات هو النشوة والانتعاش وتراث الأجداد، ، ومن يعارضونه يبدأون بحماس حملة ضده بسبب المساحات التي بات يحتلها في حياتهم اليومية، ويحاولون توعية الناس بخطورة الظاهرة التي طالت الجميع بمن فيهم الأطفال واستنزفت موارد البلاد المائية على ندرتها وشحها .

أنت مدعو إلى جلسة تخزين :

يقول «أنور العنسي» الصحفي في «بي بي سي» والمختص بالشؤون اليمنية، إن القات ليس مخدراً من الناحية العلمية، ولكنه منبه يُمضغ ويُخزّن في الفم، ومن هنا جاءت كلمة «تخزين» لوصف جلسات استهلاك القات فإذا دعاك أحدهم «للتخزين» فاعلم أنها استضافة لأكثر جلسة شعبية في اليمن.

عند تناوله يشعرك القات بالنشوة، وبطاقةٍ هائلةٍ مفيدة جداً للتركيز، لذلك يستهلكه الطلاب وأصحاب المهن الدقيقة مثل حرفيي الحلي، والبنائين الذين يعملون في أماكن مرتفعة، وهو بذات القدر منشط جنسي، حيث يشحذ كل الطاقة التي في الجسم ويستمر مفعوله خلال فترة الاستهلاك ثم تخور قوى المستهلك بعد ذلك ويشعر بحالة هبوطٍ كبيرة.

وفي مرحلة الهبوط هذه يفقد المستهلك قدرته الجنسية، ما تسبب في تفكك أسر بكاملها نتيجة الشكوى المتكررة للزوجات، حتى أن نساءً صوماليات تظاهرن السنة الماضية في «لندن» احتجاجاً على الآثار المدمرة للقات على صحة أزواجهم الجنسية، علماً أن القات مادة مستهلكة من قبل شعوب شرق أفريقيا بشكلٍ عام

لماذا يزرعون القات ؟ :

وفي الوقت الذي يحارب فيه العالم «القات» ويعتبره نبتة مخدرة مثل نبات «الكوكا» الذي يستخرج منه الكوكايين، وبينما تُشرّع أغلب دول العالم عقوبات قاسية لتعاطي القات وترويجه، تُركز دول أخرى اهتمامها على زراعة أشجار البن، يُقدم المزارعون اليمنيون

على اقتلاع أشجار البن واستبدالها بالقات، لتتحول اليمن ــ وبكل أسف ــ من إحدى أهم الدول المنتجة للبن إلى المنتج الأهم والأوحد تقريباً لـ«القات.»

نقابة الموالعة تنتصر للقات :

وعلى عكس زراعة البن، جاء التوسع في زراعة القات باليمن لأسباب تتعلق بضخامة نسبة متعاطيه للدرجة التي تمددت معها رقعة زراعته لتلبية احتياجات السوق المحلي، لتقترب من نصف الأراضي المزروعة في اليمن. لهذه الأسباب لم يكن من المستغرب أن يقرر مجموعة من الشباب اليمني تأسيس «نقابة «الموالعة» اليمنيين»، للاهتمام بشؤون القات، وتنميته والحفاظ على حقوق متعاطيه، وذلك عبر مواقع التواصل الاجتماعي، لتصبح بذلك أول نقابة افتراضية في فضاء الإنترنت.

و«المولَعي،» لفظ يمني شعبي يُطلق علي متعاطي القات بإدمانٍ شديد، أما «المُقوت» فهو لقب بائعي القات بشكل عام في الثقَافة اليمنية، فيما يُطلق على من يقوم بقطف القات من الشجر اسم «المُبزِغ.»

وتسعى النقابة التي يُمكن وصفها أيضاً بـ «نقابة القات»، حسب مؤسسيها، إلى الحفاظ على حقوق هذه الفئات الثلاثة «الموالعة»، و«المقاوتة»، و«المبزغين». ويُعرّف مؤسسو النقابة الكيان بأنه «كيان شعبي لماضغي شجرة القات من مختلف الانتماءات المناطقية والسياسية والمذهبية، باعتبارها «شجرة الخلد وملك لا يبلى»، «إننا نحمي شجرة القات وندافع عن الموالعة وحقوقهم في المقيل الكبير الذي يدعى اليمن».

«الناشط فخر العرب» ، الناطق باسم نقابة الموالعة اليمنيين، تحدث لـ «VICE عربية» عن فكرة تأسيس النقابة، مؤكدًا أنها جاءت بهدف الدفاع عن شجرة القات. وقال إن النقابة تضم مجموعة كبيرة من الشعراء والكتاب والمثقفين، ما يفسر اهتمامها إلى جانب هدفها الرئيس، بتناول موضوعات سياسية بأسلوب ساخر، خاصة في ظل الحرب القائمة، بعد أن باتت السخرية هي السلاح الوحيد الذي يمتلكه اليمنيون.

وقد عملت هذه النقابة المثيرة للجدل على تناول مواضيع سياسية بأسلوبٍ ساخر، خاصة في ظل الحرب القائمة باعتبارها السلاح الوحيد الذي يملكه اليمنيون لنقد الوضع، ما أكسبها شعبية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، انعكست إيجاباً على تنامي عدد أعضائها، ما دفع المؤسسين إلى افتتاح نقابات فرعية في عددٍ من المحافظات والمديريات.

وحسب «فخر العرب»، تسعى النقابة إلى كسر الحظر العالمي على القات، والوصول به إلى العالمية، ومن ثم تصديره للخارج، بما يحقق الفائدة القومية للبلد وتصحيح النظرة المغلوطة تجاه متعاطي القات والشعب اليمني. ويُضيف «فخر العزب» أن نقابة «الموالعة» هي مبادرة طوعية.

170 ألف هكتار من النشوة :

القات نبتة خضراء اكتشفت لأول مرة في الحبشة - إثيوبيا حالياً - ثم انتقلت إلى اليمن، وتُصنف منظمة الصحة العالمية القات كنبتةٍ مخدرة تسبب الإدمان لاحتوائه على مادة «الكاثيون»، وهي المادة المسؤولة عن شعور متعاطي القات بالارتياح وقوة التركيز والانفعال.

ووفقًا لتقارير صادرة عن وزارة الزراعة اليمنية، فقد توسعت الرقعة الزراعية لزراعة القات في اليمن لتصل خلال العامين الماضيين إلى أكثر من 170 ألف هكتار زراعي، ما يمثل 40% من إجمالي الأراضي الزراعية في اليمن. ويتصدر القات قائمة المزروعات النقدية في اليمن، وينفق اليمنيون الذين يعيش أكثر من 50% منهم تحت خط الفقر، أكثر من 400 مليار ريال يمني على القات

سنوياً، وهو ما يمثل 40% من دخل سكان اليمن سنوياً.

ويُعتبر القات من النباتات سريعة النمو، فضلاً عن أنه لا يحتاج جهداً لرعايته، ولا يرتبط بموسم زراعي محدد، ما يُعد سبباً إضافياً لإقبال مزارعي اليمن على زراعته.

يقول «حمود على»، أحد مُزارعي شمال العاصمة صنعاء، أنه كان يزرع العنب قبل تحوله لزراعة القات، ويبرر الأمر بأنه لا يحتاج الكثير من الجهد والوقت لينمو، وليس له موسم محدد، فبمجرد أن يحصد القات في مزرعته ينمو مرة أخرى في غضون شهر أو أقل، ما يُدر عليه دخلاً جيداً طوال العام، على عكس العنب الذي كان محدد بموسم واحد فقط وعائداته محدودة مقارنة بعائدات القات.

ما لم يذكره «حميد» أن زراعة القات، وفقًا لتقارير من وزارة المياه اليمنية، تستنزف أكثر من 50% من المياه الجوفية، مع شح مصادرها في عموم المحافظات اليمنية، وهو ما يمثل تهديداً على المدى الطويل للرقعة الزراعية في البلاد، بالإضافة إلى الأضرار البيئية المتوقعة للسبب ذاته.

نعمة القات ونقمته :

يتم تعاطي القات في جلسات فردية أو جماعية، وتسمى جلسة القات «مقيل»، ويجتمع فيها اليمنيون وهناك جلسات للنساء يجتمعن ويتعاطين القات فيها مثل الرجال تمامًا. ويمضغ متعاطي القات أوراق الشجرة الخضراء في أحد جانبي الفم حتى تحدث تورم على شكل كرة دائرية تظهر اللون الأخضر في فم المتعاطي بمجرد أن يفتحه، أما للتنفس أو للتحدث أو شرب الماء، ويظل المتعاطي يمضغ القات كاللبان «العلكة» حتى يمتص العصارة من على شجرة القات، وهذه العصارة هي التي تسبب المفعول المتعارف عليه.

الخبير في التصوير والجرافيك، «عدنان المطري»، يرى أن للقات تأثير على عمله يصفه بـ «الإيجابي»، مشيراً إلى أن إنتاجه أثناء تعاطيه القات أفضل كماً ونوعاً مقارنة

بعمله دون أن يتعاطى القات، وأنه يفضل العمل وهو متعاطٍ للقات، حيث أن القات يساعده على التركيز أثناء عمله ويفتح مداركه أكثر. ويضيف «عدنان» أنه بمجرد مقارنة تصاميمه التي عمل عليها أثناء تعاطيه القات، والتصاميم التي عمل عليها دون تعاطيه، يجد أن تلك التي أنجزها تحت تأثير القات أفضل وأكثر إبداعاً.

الدكتور «فضل عباد»، استشاري الجراحة العامة، يقول إن القات كنبتةٍ لا مشكلة فيه، إلا أن استخدام المبيدات المصاحبة لزراعته، والتي تعرف بـ«بودر القات» هي ما يسبب الأضرار الصحية كفقدان الشهية والغثيان والسرطان على المدى الطويل. ويستخدم المزارعون هذه المبيدات لتسريع عملية النمو لزيادة أرباحهم. ويضيف «عباد»، الذي عمل سابقاً ضمن حملات للتوعية من أضرار القات، أن القات ليس مخدراً بل له أن له تأثير المنبهات، لكنه أكد في الوقت نفسه أن له تأثير سلبي على النساء الحوامل، وقد يتسبب في تشويه الأجنة حال تعاطته الأم خلال فترة الحمل.

القانون اليمني يتعاطاه أيضاً :

لا يمنع القانون اليمني زراعة القات وتجارته، بل أن قانون الضرائب اليمني رقم «42» الصادر عام 2001 وضع القات ضمن السلع الواجب دفع ضريبة عنها بنسبة 20% حيث تدر ضريبة القات عائدات كبيرة. وفي العام 2008 ناقش مجلس النواب اليمني قانون يمنع زراعة القات باعتباره مسبب رئيسي للسرطان. وبسبب الانقسام الكبير الذي حصل بين أعضاء مجلس النواب الذين يتعاطى معظمهم القات، تم تعطيل القانون ولم يخرج إلى النور.

العيد الوطني للقات :

دشنت نقابة «الموالعة» مناسبة وطنية أطلقت عليها «عيد الغصن»، وهي مناسبة سنوية للاحتفال بشجرة القات بهدف تعزيز العلاقة بين القات ومتعاطيه. يقول «فخر العزب» بأن النقابة اختارت الثاني عشر من سبتمبر ليكون «عيد الغصن»، بدءاً من عام 2017 ، إلا أنه تم تغييره ليكون الثاني عشر من يوليو كل عام، نظرًا لازدحام شهر سبتمبر بالأعياد الوطنية وذكرى الثورات اليمنية المختلفة.

ووفقًا للأمين العام للنقابة أبو بكر الشرجباوي، فإن عدد الأشخاص الذين أضافوا إطار عيد الغصن لصورهم الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي، بناءً على دعوة النقابة، بلغ أكثر من مليون شخص داخل اليمن وخارجه في ذكرى عيد الغصن السابقة. وقال «الشرجباوي» إن النقابة ستبدأ بدءاً من العيد القادم منح وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى لأبرز متعاطي القات في اليمن، كما أنها ستنظم حملات دعم للقات بالتزامن مع العيد في أنحاء اليمن كافة، إضافة إلى جيبوتي التي تضم عدة أفرع للنقابة.

حرب مقاطع الفيديو :

ومع تزايد زخم عمل النقابة بدأت الكثير من الأصوات المعارضة لعملها ونشاطها، وترتكز هذه الأصوات في الأساس على أن القات نبات مخدر ومصنف عالمياً وفق هذا الاعتبار. وأثار مؤخرًا فيديو للفنان الكوميدي الكويتي «حسن البلام» الرأي العام في اليمن، وخصوصاً متعاطي شجرة القات في اليمن، حيث قام «البلام» بتقليد بعض الفنانين اليمنيين وهم يتعاطون القات أثناء الغناء، واعتبرت شريحة واسعة من متعاطي القات الفيديو إهانة كبيرة لهم وللقات باعتباره النبتة القومية لليمن.

على الجانب الآخر، اعتبر البعض أن هذا التقليد ما هو إلا تجسيد للحقيقة مثل الكاتب حسين الوادعي، الثي قال عبر صفحته بموقع فيسبوك»: «الفنان «حسن البلام» أثار غضب بعض مدمني مخدر القات من اليمنيين مع أنه في الحقيقة نقلٌ أمين وصادق بنسبة

90 % لأسلوب تعاطي القات وجلساته، ولبعض ممارسات الفنانين الشعبيين الذين يصرون على الغناء وأفواهم منفوخة بقنابل القات الموشكة على الانفجار والخروج من الخد وفتحات الاسنان. أنا هنا مع تطبيق النصيحة القديمة : إذا ابتليتم فاستتروا. وشكرٌ متأخرٌ للبلام، وبانتظار لسعات سوطه الجديد لبعض ممارساتنا المخجلة، فإذا كنت تعتبر أن الإدمان الجماعي لمخدر القات هوية وثقافة، فكن مستعدا لسخرية الآخرين واحتقارهم.»

أما الناشط والمصور «عبدالعزيز الصبري» له وجهة نظر أخرى عبّر عنها بالقول : من وجهة نظري لا أجد المشكلة في القات، ولا أرى الاتهامات التي تلحق به بالتسبب في تخلف اليمن واقعية، وجميع اليمنيين يعرفون أن القات نبات غير مسبب للإدمان، والتوقف عن تعاطيه لا يسبب أي أضرار. وأضاف: «شخصياً، أستطيع تناول القات بشكل يومي وبكميات كبيرة، وأيضاً يمكنني تناول كميات قليلة أو التوقف عنه بقرار إرادي متى أردت، لكن في المقابل زراعة وتجارة القات باتت مصدر دخل لكثير من العائلات اليمنية، بدءاً من المزارعين وحتى الباعة في الأسواق، وما بينهما، ماذا سيفعل هؤلاء حال توقف إنتاج القات؟ ومن يمكنه تعويضهم عن خسارة مصدر دخلهم الرئيس؟».

ونفى «الصبري» مسؤولية القات عن استنزاف مخزون المياه الجوفية في البلاد، مؤكداً أن اللوم يقع على الدولة التي لا تبدي أي اهتمام بالمياه الجوفية، وتسمح بحفر الآبار بشكل عشوائي، وبحسب الوساطات والرشاوي»، على حد قوله. وأشار إلى أن مناطق مثل «جبر صبر» في مدينة تعز، تزرع القات منذ مئات السنين، ويعتمد عليه معظم سكانها كمصدر رئيس للدخل عبر زراعته في أراضيهم ومدرجاتهم الجبلية اعتماداً على مياه الأمطار الموسمية فقط، من خلال تجميعها في خزانات كبيرة واستخدامها خلال فترة انقطاع المطر.

واختتم «الصبري» كلامه بالقول: كثر الحديث عن أن القات هو سبب تأخر الشعب اليمني، وتراجع الإنتاج، وهذا منطق خاطئ في رأيي، على العكس تماماً، يوجد بين متعاطي القات في اليمن أكاديميين وأطباء ومهندسين أكفاء في عملهم، على الرغم من أنهم يتعاطون القات بشكل يومي. وكل عمارات اليمن وإنشاءاتها أنجزها المخزنون، وحدهم الفاسدون القابعون خلف المكاتب هم من يتسببوا بالخراب والدمار.»

عندما احتج الموريتانيون على نشيدهم ..

انجاز كبير أم ضلال إبداعي

الليبي ـ وكالات .

بلاد الآباة الهداة الكرام * وحصن الكتاب الذي لا يضام**

ما يميز الموريتانيين تلك القدرة المدهشة على الحوار وتبادل الآراء بنفسٍ طويل وسعة صدر قد لا نعثر عليها في الكثير من بقاع هذا الوطن الكبير، فالموريتاني بطبيعته مثقف هادىء واثق من قدرته على إيصال رأيه للآخرين.

ولعل من أجمل المواقف التي ظهرت فيها هذه القدرة واضحة جلية، ما حدث عام 2017 م، من جدلٍ حول كلمات النشيد الموريتاني الجديد ـ آنذاك ـ وما نقلته وكالات الأنباء من نقاش محتدم حول كلمات هذا النشيد الذي أصبح آمراً واقعاً الآن .

في هذه الاحتجاجات، ظهرت واضحةً جلية تلك الروح الإبداعية لدى الموريتانيين، مثقفين أو مواطنين عاديين، من خلال استعمالهم لتشبيهات متقنة، وصياغات بلاغية وأدبية تستحق الانتباه، سواءً في رفضهم أو تأييدهم . وهذا ما دفعنا إلى استحضار تلك اللحظة لنستمتع بقدرة شعبٍ على الحوار، منتجاً صيغه البلاغية ومظهراً لغته القوية ومقدرته على التشبيه والوصف معاً .

«صمنا سنة وأفطرنا على جرادة» .. هكذا عبر أحد الموريتانيين عن شعوره بالإحباط وهو يستقبل كلمات النشيد الموريتاني الجديد، فلماذا واجه هذا النشيد هذا الكم الهائل من الاستياء ؟ وكيف كان دفاع المتحمسين له، وكذلك المنتقدين؟

بعد أربع محاولات فاشلة، ولد النشيد الوطني الموريتاني الجديد ليواجه بسخرية عامة وبانتقاد الشعراء والأدباء لركاكته وتكلفه.

نشيد رائع يحلم به الشعب منذ الاستقلال :

استمع الموريتانيون إلى نشيدهم الجديد الذي رافق إذاعته ــ آنذاك ــ صخب وإثارة شديدين، وقد كلفت بانجازه لجنة من تسعة وثلاثين من كبار الشعراء والأدباء، عملوا على إنجازه لأكثر من شهر، وجاء النشيد بعد أربع محاولات فاشلة، وقد صادق عليه مجلس الوزراء أخيراً ، واعتبره وزير الثقافة ــ وهو الناطق الرسمي باسم الحكومة ــ مطلب الموريتانيين منذ الاستقلال، وأنه صادرٌ وفق قانونٍ ذي مرجعية دستورية، وأنه سبيكة لمجموعةٍ من مختلف الأناشيد التي تغنى الأمجاد والاعتزاز، بالأرض والمقاومة والتضحية والتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية والشهامة والكرم، وغير ذلك من المعاني النبيلة.

كما كان للعديد من المثقفين رأي مشابه في المقابل أثنى عدد آخر من الموريتانيين على جمالية النشيد الوطني الجديد الذي عبّر عن توجه الدولة وأيديولوجيتها واعتزازها بنفسها، وقام في نفس الوقت بشحذ الروح المعنوية للمواطنين ودعوتهم إلى الوحدة والتضحية من أجل الوطن.

نشيد تعتز به البلاد :

وتقول الناشطة «عيشة محمد « : هذا النشيد الوطني يشخص ارتباطنا بوطننا، والذود عن حماه، ومقاومة الاستعمار، ودورنا في نشر العلم وتكوين العلماء والمحافظة على تلك الصفة، وكذلك اعتزازنا بعروبتنا وإفريقيتنا، في نفس الوقت اتباعنا لله ورسوله واستعدادنا للتضحية من أجل الوطن وحوزته الترابية».

ومن جانبه، دافع الناشط «محمد عبد الله الحبيب» عن هذا النشيد الجديد للدولة قائلاً : هذا هو النشيد الرسمي الذي تعتز به موريتانيا الجديدة من خلال كلماته بماضيها وتتطلع لمستقبل واعد».

فهل كانت هذه الآراء المؤيدة معبراً عن وجهة نظر الجميع ؟

صمنا سنة وأفطرنا على جرادة :

لا أحد يعتقد ذلك، فالنشيد واجه سخرية من المواطنين العاديين الذين قال أحدهم إن الشعب « صام سنةً وأفطر على جرادة «، وقد هاجمه عدد كبير من شعراء ونقاد موريتانيا، ورأوا أنه لا يليق بسمعة موريتانيا بلد المليون شاعر، والتي يتنفس أبنائها الشعر، وأنه يشبه لعب الأطفال.

مسودة لطفلٍ يتعلم العروض :

أعرب الشاعر «محمد ولد إدوم» في تدوينةٍ له على «فيسبوك»، عن أمله في أن لا تكون الكلمات المتداولة الآن هي فعلاً مشروع النشيد الوطني، وأضاف: ما زلتُ متعلقاً بخيط أملٍ بأن هذا «الكلام مجرد مسودة لطفلٍ تعلم لتوه العروض، بداية بالمتقارب، وسوَّدَ كلماتٍ ليقنع أستاذه أنه فهم الدرس جيداً، وأصبح ماهراً في التقطيع العروضي والنظم... ثم سرَّبَه عبر الفيسبوك من باب «الكوميديا السوداء» أو السخرية أو الضحك على الذقون!!».

مقطوعة جنائزية و عقودٌ من الجفاف البيئي:

من بين المنتقدين الشاعر «المختار السالم»، الذي قال في تدوينةٍ له على حسابه بـ«فيسبوك»: «إن عقوداً من الجفاف البيئي أهون على المرء من لحظة استماع لمقطوعة جنائزية بامتياز في فن القحط الشعري»، مضيفا: «لا يعقل أن النتيجة تكون بهذا البؤس الشعري».

مختل ومتكلف وساذج :

الدكتور الشيخ «ولد سيدي عبد الله»، وهو

أحد أبرز النقاد، حيث كتب : يا هؤلاء، القضية ليست سياسية. وليست بحثاً عن تسجيل نقاط، القضية أدبية وثقافية، هذا النشيد لا يليق بسمعة موريتانيا الثقافية واسألوا من تثقون به من دعاة تغيير النشيد القديم، شاعراً كان أو ناقداً، هذا النشيد مختل، معنىً ومبنى. ومتكلف، وتم لي أعناق العبارات والصور حتى صرخت ألماً من نشازها، وفي هذا النشيد معلومة خاطئة وفيه سذاجة في التعبير.

وتابع قائلاً: "لم ننتقد الشعراء الذين تمّ تعيينهم لإنتاج هذه الخطيئة، وصرّحنا باحترامنا لهم، على الرغم من أننا في الصميم نأخذ على بعضهم القبول بهذه المسرحية أصلاً.

ضلال إبداعي ولغة مكسورة :

ومن جهته كتب الشاعر «ولد بلعمش» في قطعةٍ شعريةٍ تحت عنوان : إن الحمية لا تغلب السبع، في إشارةٍ إلى أن هذا العدد من الشعراء عجز عن كتابة نشيد بديل عن الذي كتبه العلامة «باب ولد الشيخ سيديا».

وكتب آخر يقول إن النشيد الجديد "ضلال إبداعي"، وأضاف: لغة مكسرة وأسلوب مذبوح بسكاكين التكلف وارتباك يصعد بنا إلى الثريا ثم يعيدنا لمحاولة الصعود إليها، وينتقص من بلدنا ويختصر اسمه وهو ما لا يليق في الأناشيد الوطنية. كوكتيل من العبارات المستنسخة من أناشيد دول عربية لتوضع هنا خارج سياقاته. ميت إبداعياً بشهادة نزار قباني :

ومن جانبه، اعتبر «حبيب الله ولد أحمد»، أنه غير منطقي أبداً أن يكون هذا النشيد الميت إبداعياً صادر عن لجنة تضم تلك القامات السامقة فكراً وشعراً، وقال : لله ما أصدق نزار قباني عندما أنشد : وليمون يافا يابس في حقوله .. وهل شجرٌ في قبضة الظلم يُثمرُ؟ وهل يُبدع كل شعراء الأرض إذا وضعناهَم بين قوسي العصا والجزرة ؟ وأضاف : الإبداع مثل الشجرة قد تتنفس مؤقتاً في كيس بلاستيكي، لكنها لا تكون شجرة حقيقية إلا إذا عانقت الأرض والشمس والماء والأفق الفسيح، قبل ذلك يسمونها «شتلة» أو «شجيرة» .

يشبه شعر عصور الانحطاط :

ومن جانبها، اعتبرت «منى بنت الدي»، القيادية في حزب المعارضة الرئيسي "تكتل القوى الديمقراطية" أن كلمات النشيد الحالي هي نتيجة مرحلة التردي التي يعيشها البلد الآن، فلا وزن ولا شاعرية ولا معنى ولا حماسة. وأضافت «بنت الدي» ـــ في تدوينةٍ على صفحتها في فايسبوك ـــ إن النشيد متكلف يشبه شعر عصور الانحطاط، حيث نجد كلمات أقحمت بدون معنى مثل "لغز السلام"، "إلا إذا كانت ترمز إلى أن الحكم إذا كان لا يأخذ إلا غلاباً فيصبح السلام لغزاً". (هنا ، نعتقد أن هناك سوء فهم، فالكلمة هي « ثغر السلام» ، وليس «لغز السلام» .) .

النشيد الصدمة لا يحرك مشاعرنا :

أحمد أبو المعالي عبر عن صدمته عندما قال : إن مستوى النشيد "صدمة لو وزعت على أهل وطني لوسعتهم". ودعا الذين صوتوا لصالح تعديل النشيد أن "يعبروا عن عدم اقتناعهم بالنشيد الجديد، لأنه لا يحرك مشاعر أي مواطن ولا يمثل ما عُرف به هذا البلد الذي ارتبط ذكره بالشعر في مختلف المحافل". واعتبر الصحافي والشاعر «المختار السالم ولد أحمد سالم»، أن اللجنة ضمت بعض القامات الأدبية السامقة، التي لها كل التقدير والاحترام، ولكن النشيد الجديد "ضرب مستويات قياسية في العنينية الشعرية".

وفي الختام ..

ممتع أن نبحث وسط أكوام الأحداث المتتابعة عن جواهر البلاغة، ولو تعلق الأمر بنقاش يدور حول قضية كهذه، ولأن دولة عريقةً مثل موريتانيا لا ينال منها نقاش، بل يضيف إليها الكثير. ولكنها رحلة ممتعة في عقلٍ موريتاني عودنا دائماً على بلاغة اللسانٍ وفصاحة اللغة.

هذه صفحات أخرى، تروي تاريخ هذه الأرض القديمة، التي منحت اسمها ذات يومٍ للقارة بأكملها، ثم للشمال الافريقي بمجمله، وهاهي الآن تناضل الزمن لكي لا تطويها الصحائف ولا تنشغل عنها التواريخ.

وفي معرض وصف هذه المرحلة يشير ابن غلبون بكل انصاف إلى أن الجيش صارت له الأولوية في إدارة البلاد، يضاف إلى هذا أن استبداد الإدارة التركية وفسادها أديا إلى قيام الثورات والاضطرابات المتواصلة بين السكان. وأدى ذلك كله إلى وضع البلاد في توتر دائم. وقد استغل المرابطون السخط المسيطر في الإيالة فوقفوا على رأس المتمردين. ولم يتأخر عنهم الإقطاعيون المحليون الذين كانوا يسعون إلى تحقيق أهداف سياسية ويتطلعون إلى إخضاع القبائل المجاورة.

أما أعظم تحرك لسكان الإيالة تحت قيادة المرابطين فكان حركة العالم و «الشيخ» يحيى بن يحيي السويدي وليد المغرب [99، ص 145] وكان قد حل في بداية ثمانينيّات القرن الـ 16 بتاجوراء التي كانت على مدار تلك الفترة بؤرة النضال الشعبي ضد الغزاة الأجانب. وهناك أخذ ينشر دعوته على أنه المهدي المنتظر الذي ظهر لتحرير أهل طرابلس الغرب من جور الحكام الأتراك والإنكشارية وتسلّطهم. والتف حوله سكان الولاية الساخطون على الظلم.

وفي سنة 1587 قام الإنكشارية بمذبحة للحجّاج المتجهين إلى مكة وثار سكان تاجوراء بسبب الحادث، وكان يحيى بن يحيى على رأس الثائرين. وانتظمت في مختلف المناطق فصائل النضال ضد الإنكشارية. وتم تدمير القوات التي وجهها مصطفى باشا إلى منطقة مسلاته [99، ص 145] وفتحت الطريق أمام الثوار فسارع مصطفى باشا إلى طلب العون من باشا تونس ووعده لقاء ذلك بالتنازل عن جربة التي كان الصراع متصلاً بين الإيالتين بسببها.

وفي ذلك الوقت كان نطاق الثورة في اتساع. وعبّر سكان المناطق الجبلية في الجبل الغربي وبنغازي ودرنة عن تأييدهم ليحيى بن يحيى. واتجهت فصائل الثوار المسلحة نحو طرابلس. وحطمت عند مشارفها عدداً من الحاميات الصغيرة. وقامت القوات الموحدة بقيادة معاون يحيى بن يحيى لمحاصرة طرابلس. واستطاع الثوار أن يقتحموا البوابات المحصنة وأن يسيطروا على المدينة. بيد أن الإنكشاريين الذين احتموا بقلعة المدينة أبدوا مقاومة عنيفة وصاروا يقومون بخرجات بين حين وآخر.

قلعة بني حماد بالمسيلة ..

العاصمة التي كانت

بن معتوق حمزة. الجزائر

ما زالت قلعة بني حماد بالجزائر من الشواهد التاريخية الماثلة إلى اليوم لتحكي قصصاً خالدة ومشرقة من تراثنا الإسلامي المجيد.

وبالرغم من تصنيف القلعة من طرف منظمة اليونسكو سنة 1980 ضمن المواقع المهمّة التي وجب الاهتمام بها، على غرار حيّ القصبة العتيق بالجزائر العاصمة، إلا أنّ قلعة بني حماد تشهد، من يوم إلى آخر، تدهوراً في وضعيتها بفعل عاديات الزمن، وأيضاً بفعل العوامل البشرية.

تُعدُّ قلعة بني حماد عاصمة ثاني دولة تقوم بالمغرب الأوسط (الجزائر) بعد الدولة الرستمية، وتقع على بعد 20 كم شمال مدينة المسيلة، وقد أسّسها حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي البربري، بعد أن استأثر بولاية الجزائر الشرقية في عهد الدولة الصنهاجية عام 1007 م، وقد بُنيت القلعة الحصينة بين عامي 1007 و1008 م على سفح جبل المعاضيد، وسط سلسلة جبلية لتكون صعبة المنال نتيجة مسالكها الوعرة.

ويؤكد المؤرّخون أنّ اختيار هذا المكان ليكون عاصمة للدولة الحمادية لم يكن من باب الصدفة، وإنما تمّ بناء على معطيات استراتيجية شديدة الأهمية، بمفهوم ذلك الزمان، كان أساسُها الأول المُعطى العسكري، حيث عمد حماد بن بلكين، مؤسس الدولة، إلى

إقامة عاصمته، قلعة بني حماد، بالقرب من سوق حمزة المشهور بهدف جعل حياة الناس سهلة داخلها، وقد حقّقت هذه المدينة صفة كان من النادر أن تحقّقها المدن في ذلك الوقت، وهي صفة التعايش بين جميع الطوائف والأعراق المختلفة التي وحّدها الدين الإسلاميّ.

وبما أن قلعة بني حماد كانت مركزاً للحضارة الحمادية، فإن البنايات كانت أوسع وأكثر تعقيدا من تلك المتواجدة في مواقع أركيولوجية مماثلة، ومن بين هذه البنايات نجد القصر الذي كان مشهوراً آنذاك، والذي يتكون من ثلاث بنايات موحدة، ويعتبر شاهداً على المستوى الرفيع للمهارة الهندسية التي كان يتمتع بها الصناع، والتي تعلموها من صفوة التجار الذين عاشوا في الإمارات الحمادية، والذين أجبروا على الإنفاق لصالح الحاكم. هناك بناية بارزة أخرى بهذا الموقع، وهي المسجد الذي لا زال يعتبر لحد الآن الأوسع بالجزائر. وترتسم على حيطان القلعة مجموعة من الأشكال الهندسية التي تختزل ما وصلت إليه روعة العمارة الإسلامية آنذاك، والتي تمازجت فيها العمارة التي كانت سائدة بالشرق الإسلامي وخصوصا في مصر والعراق، وتلك العمارة التي طورها الأندلسيون الذين تفننوا في صناعة الأقواس وخط آيات قرآنية على الحجارة. وبين جمعها بين هاذين الفنين الإسلاميين، كانت القلعة مثالاً حياً عن عمارة إسلامية استطاعت أن تخلد زمناً طويلاً لتبقى بذلك أبرز شاهد على روعتها.

وعلى الرغم أنها مصنفة ضمن التراث العالمي، وعلى الرغم من الوعود التي تقدمها مديرية الثقافة بولاية المسيلة، إلا أن الواقع أثبت العكس حيث أنّ أجزاء كبيرة من القلعة تضرّرت وبشكل كبير، فالمسجد الكبير لم يعد كبيراً كما كان، حيث لم تبق منه إلا المئذنة، التي ما تزال شامخة لحدّ الساعة، والحفريات التي بقيت تقام هنا وهناك من طرف باحثي الآثار والعلماء وطلبة الجامعات، كان جلُّ ما يُعثر عليه ويُستخرج يُوجّه إلى خارج الوطن، فأول حفرية بالقلعة كانت على يد «بول بلانشي» سنة 1987، ثم «لوسيان قولوفان» ما بين 1950 و1960، لكن ما وجده هذا الأخير وُجّه إلى متحف الباردو بباريس، وهذا بسبب غياب الشعور بأهمية هذا التراث الإسلامي في الجزائر.

ولم تحظَ القلعة بأيّ اهتمام يُذكر أو ترميم جدّيّ، عدا بعض المحاولات هنا وهناك سنة 1974، حيث رُمّمت صومعة المسجد الكبير التي تُعدُّ نسخة مطابقة من مسجد إشبيلية.

عمارة تشكيلاتها من تفاصيل الذاكرة والواقع والمخيال...

غدامس .. المذهلة

د. زينب قندوز /تونس

عـين على غدامس :

يعتبر الشكل الهندسي العام للمبنى أو المخطط، وتشكيل الفراغات، ودرجة البساطة أو التعقيد، كذلك، كتلة المبنى، ونوعية المواد المستخدمة والألوان، عناصر معمارية غنية بالرموز. مفردات معمارية كالأعمدة، الجدران والزخارف، استحضرها أجدادنا -إلى جانب وظيفتها- لإثراء المدلول الرمزي لأعمالهم. حيث يزخر وطننا المغاربي بنماذج لمدائن تقليدية لاتزال جدرانها شاهدة على حذق أجدادنا وسعة معرفتهم بمجالهم واطارهم الطبيعي. فطوعوا المواد الخام والأولية وجاروا الطبيعة تقلباتها وشيدوا صروحاً تعكس صورة بيئتهم وانسانيتهم.

الأيقونة الليبية :

غدامس «أيقونة الصحراء» كما يحلو لي تسميتها، مثال شاهد للهندسة الصحراوية. هي واحة في نالوت بالمنطقة الجنوبية الغربية لطرابلس بليبيا على الحدود التونسية والجزائرية، وهي أيضاً مدينة القوافل لموقعها الاستراتيجي، وواحدة من أقدم المدن الصحراوية وأبرزها. غدامس كتبت تاريخها منذ القديم البعيد، والذي يعود حسب المؤرخين إلى العصر الروماني، ما يعلّله العثور على منحوتات ونقوش حجرية تدل على وجود حياة في هذه المنطقة منذ 10 آلاف سنة. كما كان للقرطاجيين وجودهم على أرضها باحتلالهم

لها عام 795ق.م ، فتحها العرب بقيادة عقبة بن نافع عام 42هـ. وفي عام 1986، صنّفت «اليونسكو» غدامس القديمة مدينة تاريخية ومحمية من قبل المنظمة.

يُعدّ المعمار منظومة معرفية متكاملة تجمع اللغة والفكر والعقائد بحيث تكون فيها البناءات والإنشاءات مادة ملموسة قابلة للتعامل معها كظواهر تمثل مؤشرات تحمل في طياتها أفكاراً وقيماً ومعايير ثقافية تعبّر عن تطلّعات صانعيها وتمكّنهم من الحفاظ على ذاكرتهم.

تتحرّك هذه المنظومة وفق نُظم شرّعها المجتمع وقوانين ثابتة منظمة حسب منهج موحّد ومحكم في آن. ولا تكون قيمة دلالته فاعلة إلاّ في مجال المنظومة التي تنتمي إليها طبقاً لمعجم رموز موحّد تضمن درجة الادراك المطلوب لهذه الدلالات المرئية والثابتة.

تُعتبر غدامس القديمة نموذجاً للمدينة الإسلامية التقليدية بأبعادها الصحراوية والإفريقية. إذ «تعد من الأمثلة المعمارية الصحراوية القليلة التي توجد في ليبيا، والتي تعتبر نموذجاً للمدينة الإسلامية التقليدية والتي قاومت تقلبات الزمن واستطاعت أن تحافظ على طابعها المعماري الأصيل المستمد من التراث العربي والإسلامي، وهي مدينة محاطة بأكملها بسورٍ كبير تتخلله العديد من البوابات».

تشكيل المسكن الغدامسي:

لبيوت غدامس معمار خاص، إذ تأتي بشكل عمودي، يستخدم الطابق الأرضي لتخزين المواد الأساسية، والطابق الأول لسكن العائلة ويخصص السطح المفتوح للنساء، وتسمح الممرات التي تربط أسطح البيوت ببعضها بتنقل النساء بكل حرية وتحجبها عن أنظار الرجال.

من الرّحبة تتفرّع الأزقّة والنهوج الضّيّقة المُلتوية والممرّات النافذة والغير نافذة كذلك، المكشوفة منها والمغطّاة على غرار البُرطال والسِّباط، كما النهوج والأزقة. ولعّل خاصيات الهيكل الحضري في مدينة غدامس لا تختلف عن مثيلاتها في المدن الإسلامية القديمة من حيث شكل النسيج أو النظام العمراني، وحضور الأزقّة المتعرّجة، الملتوية، ما يظهر تماسك النسيج من خلال مكونات من المباني والأسواق والجوامع والساحات الداخلية التي تخدم الأنشطة الاقتصاديّة والاجتماعيّة. كما تُساعد شبكة من الممرّات على استغلال أقصى للمجال فتُؤمّن فيه الرّبط بين الفضاءات الخاصّة والفضاءات العامّة وتصل بين الأحياء بعضها ببعض.

– الشّارع: تعتبر الشوارع مكوناً أساسياً وشرياناً حيوياً للمدينة التقليدية، وناظماً مهماً وبوصلة للحركة السكانية والفيزيائية فيها.

– البُرطال: وهو فضاء مسقوف وجزء من طريق تفضي إلى الرّحيبة.

– السّباط: أو السّاباط، جمعه أسطبة، يعدّ

السَّباط عنصر تميّز في النسيج العمراني للمدينة المثال. هو عبارة عن جزء مغطّى من الشارع. تُبنى الأسطبة عابرة لفراغ الحارة فتُحدث سقفاً لهذا الجزء من فراغ الحارة، ويحمل الساباط في هذه الحالة على أكتاف عريضة من الطوب من جانبي الحارة، وبتكرار الأسطبة بطول الحارة الضيقة الملتوية يحدث الأظلال على الواجهات والممرات الضيقة فيساعد ذلك في رسم الصورة الذهنية الكاملة للقرية المكوّنة من كتلة شبه صمّاء يتخلّلها ممرّات بعضها مكشوف وبعضها الآخر مغطى.

– المصاطب و الجلسات: وهي «الدكانة»، يتراوح ارتفاعها ما بين ثلث ونصف المتر.

– الساحات: «هي عبارة عن فراغات مفتوحة بها جلسات من الأحجار بالإضافة لوجود حجرة تعرف بحجرة الأعيان، كما أنّها تحوي العديد من المحلات التجارية وهي موجودة بكل زقاق وتؤدى دور السوق كما أنّها تستخدم في المناسبات».

– السطوح : اعتبره الفضاء الملغز من مجموع الأفضية المكوّنة للمدينة. تُعدّ السطوح مجالاً علوياً «خاص بحركة النساء حيث تقضي المرأة أغلب وقتها فوق الأسطح أو في الحجرة التي بها الرحى ويتم الاتصال بين النساء عن طريق الأسطح المترابطة بعيداً عن فضول الرجال الغرباء فتتم الزيارات وتعقد عمليات البيع والشراء، وبذلك تحولت سطوح المدينة الى مدينة خاصة بالنساء».

بناء مُتضامّ

تشكيلات «غدامسية» بامتياز:

لعلّ المتأمل في تشكيلات المسكن الغدامسي من قبيل البناء والتزويق، يلاحظ بالبّين أن الكتل البنائية الممتدة بصرياً وباتجاهاتها الأفقية والعمودية، التي تجمع بين التعقيد والبساطة وتتراوح ادراكاتها الحسية بين رمزيتها وفاعليتها الوظيفية، سواءً كانت على مستوى الوحدة او النظام، ماهي الا مكتسبات لمتساكنيها تعود إليهم ونفك أحجيتها بوجودهم. هؤلاء الذين هم مختبر نتاجهم، انهم يحللونه، يقيمونه عبر ما هو مناسب او غير مناسب تبعا للتطابق أو عدمه من سلوكيتهم ونفسيتهم وحاجاتهم وعلاقاتهم. فالعمارة تعبير عن ردّ فعل الانسان تجاه محيطه. فمن الصعب الفصل بين العمل المعماري ووظيفته العملية والرمزية.

يتعامل الإنسان مع العمارة على أنها وسيلة اتصال، فالمسكن لا يمكن أن يكون مجرد مأوى للحماية من العوامل البيئية، بل يحتوي المسكن على جملة من التعبيرات الرمزية المعقدة التي تسدّ عدداً من الاحتياجات النفسية لمستخدمي الفضاء. يؤلّف السكن صورة لعلاقة التّمفصل بين الحاويات ومحتوياتها الرمزية، فلا معنى هنا للمقابلة بين السكن بوصفه مادياً قائماً على تحول هندسي وظيفي للمكان والسكن باعتباره معيشاً ومتخيلاً مشحوناً بالتمثلات والرموز، لأن عملية التحويل ثم الاستغلال تتم وفق نماذج ثقافية مستمدة. ولعلّ الكيفية التي نعيد بها انتاج وعينا بالمكان تتمّ عبر التحولات التي تحدث في مكونات السكن، ووفق ما يحدث من تحولات تكون الاشارات والرموز والابتكارات تحت سقف التجربة والادراك والتخيل.

رمـوزوشواهد :

يتجلّى الرّمز نقشاً وحفراً ونحتاً ورسماً، أشكالاً هندسية، نقطاً، خطوطاً منكسرة أو مستقيمة أو متعرّجة، هيئات هندسية تجريدية. تختلف التقنيات والأساليب بتنوّع المحامل. وينتج الأثر وليد ذاتية صانعه، والعناصر المادّية المكوّنة له. رموز ورسوم وزخارف تتناقلها الأجيال عبر الذاكرة الجماعية. هذه الذاكرة هي حافظة التراث وقد وصفها «بول روبرت» «بأنها الملكة التي تجمع وتحفظ المدركات الماضية وما يرتبط بها. وهي في الواقع الفكر الذي يخزن ذاكرة الماضي». فالرمز هو الاشارة الصادقة التي توضح تاريخية التراث ومعانيه. لنستنتج من تعدّد الرموز المتناقلة –على اختلاف محاملها– أن المجتمع هو الذي يحدّد قيمة الرّمز وهو الذي

يضفي على الأشياء الماديّة معنى معيناً فتصبح رموزاً .ولعلّ باستثمار مدوّنة من الرموز والعلامات الشعبية ماثلة في فضاءات معمارية تقليدية (كما هو الحال مع مدينة غدامس التقليدية)، نكون قد أدركنا ماهية الدلالات المرئية والثابتة. كما تسمح هذه الشواهد بقراءات متماسكة ومتعدّدة بين المادي واللاّمادّي. أفضية سكنية قادرة على اختزال الرّموز الثقافية للمجموعات البشرية وتقاليدها ومهاراتها المعرفية في لغة مشفرة تعتمد المجاز والتجريد. ويحمل الجانب المادي من هذه المنشآت أفكاراً ورموزاً متعارف عليها تتناقلها المجتمعات تباعاً فتكوّن مخزونها الثقافي.

بالأفضية السكنية «الغدامسية» تعترضك رموزها أينما أوليت ببصرك، فلا تدرك الشكل من المادة من اللون... بكثافة الزخارف تنصهر الرموز المُعلّمة على محاملها وتستحيل بالتالي جزءاً منها. تتعدّد الرموز، ويغلب عليها المثلث الذي يظهر بأشكال مُتعددة :

تعتقد ظاهرة المثلث الذي يظهر وبكثرة في أركان الأسطح، كذلك عند المداخل الرئيسية أنه ومن المرجح «أنه ناتج عن تأثير ديني يتعلق بالآلهة «تانيت»، وتشير بعض التفسيرات الى مثلث نواة الإنسان (الروح والنفس والجسد)»، وأيضا لغاية طرد الأرواح الشريرة. هناك من التخمينات ما ترجّح أن تلك الزخارف في شكل ثلاثة أصابع موجهة نحو الأعلى هي من جذور أمازيغية.

إلى جانب المثلث كشكلٍ طاغٍ في الرموز المعلّمة بأفضية مدينة غدامسٍ التّاريخية، نكون مع طغيان اللون الأحمر القاني في منازل الطوارق وهو رمز للدم عند تقديم القرابين.

تتعدّد المحامل والرمز واحد :

لقد طوع «الغدامسي» عمارته لما يمكن أن تحمله هذه الرموز في توفير العديد من حاجياته وتأكيد هويته. إن الرموز المنتجة من حاضنتها تُأسس لفرادة كلّ مجتمع. ومستهلك الفضاء يعلق أهمية كبرى على فكرة الرمزية، وهو باستمرار يستخدم رموزاً مختلفة ومفردات معمارية مميزة.

ختاماً ::

تتعدّد المحامل والنقوش واحدة... مساحات تشكيلية تتقاسم رموزها على شواكل حياتية مختلفة. كل الرموز والأشكال المشتركة بين المنحوتات والمنقوشات التي بقي لأثرهم في النسيج والنعال والحلي والزخارف الموجودة في العمارة والبناء هي نفسها... أغلبها أشكال هندسية كالمثلثات والدوائر... ورموز لصور نباتية وحيوانية... الجريد المبسط والسرول الدقاقة والفولة وعين طير والجريدة والخمسة والنخلة والفكرون والورقة والمحزمة والثلوثي والعياشة والسيالة وغيرهم...

بلعمة ..

نفق فلسطين العنيد

د. آمنة أبو حطب. فلسطين.

«جنين» مدينة كنعانية عريقة، أنشئت حوالي عام 2450 ق.م. ولا تضاهيها في العراقة سوى مدن «أريحا» و«القدس» و«شكيم»، و«صيدا» و«دمشق». وقد اكتشف نفقها هذا «ألبرت جلوك» أستاذ الآثار الأمريكي الراحل، المنتدب لدى جامعة «بير زيت» عام 1980م، وصاحب كتاب «الجانب الآخر من الأردن»، كما اكتشف بقايا سور «قلعة جنين» القديمة الممتدة من شمالها الشرقي إلى جنوبها الغربي، ولا تزال بعض حجارته الضخمة مائلة في قواعد السراي القديمة (دار الحكومة) والسوق القديم .

ثم قُلبت الميم نوناً :

ورد اسم «جنين» في المخطوطات المصرية القديمة– وفي تل العمارنة في أسيوط والبابلية والآشورية وفي التوراة والإنجيل، وفي

الحفريات الأثرية غربي جنين في تل تعنك وتل المتسلم – مجد. وأطلق عليها عبر العصور عدة أسماء منها: عين جهاينم، وجهاني، وعين جنيم، وجانيم، ثم قلبت الميم أخيراً إلى نون. ودعاها المؤرخ اليهودي «يوسيفوس» جنينيا ثم أصبحت «عين جنينين» ثم «جينين»، ثم استقرت التسمية على جنين بـ (ياء واحدة)، وأطلق عليها الصليبيون جيرين أو» جراند جيررين» أو ميجور (ماينر) جالينا، تمييزاً لها عن ما ينر جيرين (زرعين)، وكل هذه الألفاظ مليئة بمعاني الجنائن والصبار وفقاً لما أورده الرحالة والمؤرخون.

وأما بشأن الموقع، فتقع مدينة جنين على خط عرض 33.27 شمالا وخط طول 18، 35 شرقاً على إحداثيات 208 عرض و 177 طول، وتمثل الرأس الجنوبي لمثلث مرج ابن عامر في شمال فلسطين، وتحيط بها قرى: قباطية، وعايا، ودير أبو ضعيف، وبيت قاد، والمشروع، وعرانة، والجلسة، وصباح الخير، ومقيبلة، وكفر دان، وبرقين والمخيم جزء من قسيمة ونصاب جدولة أراضي المدينة .

ترتفع جنين القديمة حوالي (157) متراً عن سطح البحر، وتقع بين جبلي أبو ضهير (ارتفاعه 265مترا)، والمراح (ارتفاعه 245 مترا) وبينهما وادي عين نينيي، أحد روافد نهر المقطع فتتجمع الينابيع لتتخذ مجراها عبر جسر المقطع شرقي التذكار الألماني. يتوسط جبل أبو ضهير وامتداده الجبل الغربي خلة الصحوة المؤدية تدريجياً إلى وادي برقين. ويتخلل جبل المراح، وامتداده الجبل الشرقي «وادي عز الدين» الذي يصب عند «جسر خروبة»، ومنه يسري مندمجاً في سهل «مرج ابن عامر» فيلتقيان في جسر بسمة، بما يعرف بنهر المقطع. وتحيط بالمدينة، وعلى مقربة منها من الغرب والجنوب والشرق، تلال وجبال متفاوتة الارتفاع.

تبعد جنين عن البحر الأبيض المتوسط غربا حوالي (40) كيلومتراً، وعن نهر الشريعة شرقاً حوالي (50) كيلومتراً، وأقرب المدن الفلسطينية القديمة إليها: بيسان شرقاً، والناصرة شمالاً، وحيفا غرباً، ونابلس جنوباً، فهي واقعة على الطريق الموصل بين القدس والناصرة؛ فتربط الساحل بالداخل والأغوار بالجبال، ولا غرو أن وقوعها بين «دوثان» و«مجدو» أعطاها أهمية خاصة .

ألف تسمية والمكان واحد :

ورد ذكرها في التوراة وفي المخطوطات المصرية القديمة ، وفي الأرشيف الملكي المصري القديم ، وفي الوثائق الأشورية ، فعرفت باسم: يبلعام، وأبليعام، وعرفت باليونانية والرومانية: بلموت، ولدى الفرنجة: كاستيليوم بيلازموم. وذكرت الموسوعة الفلسطينية أن من أسمائها أيضا بلعام وأبلعام، ويشار بأن بلعام بن باعوراء أو باؤور شخصية من علماء بني إسرائيل، كان يتمتع بمكانة روحانية في بلاد كنعان، فسئل أن يدعو على سيدنا موسى عليه السلام، فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره، قال تعالى: «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ» (الأعراف: 175)، كما ذكر أن بلعام العراف أرسله ملك مؤاب في محاولة للسخرية والتهكم على العبرانيين.

وتقع بلعمة على بعد حوالي كيلو متر من مدخل جنين الجنوبي، والتي اشتهرت في العهد الكنعاني. وجاء في الوقائع الفلسطينية -العدد 1375 عام 1944م- الآتي: أن بلعمة تضم تلا «أثريا» وحصنا «متهدماً» وتقدر مساحتها بـ (90 دونما)، وذلك على امتداد مرتفعات جبل أبي ضهير القبلية، وترتفع قرابة (200) متر قبالة إشارة الكيلو (108) عن القدس – غربي الخط الحديدي الحجازي الذي جرى تعطيله في جنين عام 1941-. وتقع بلعمة شرقي منطقة البرج المندثرة بين خربتي النجار وأم النمل، ويشار

بأن هناك قرية باسم بلعمة شرقي جرش تابعة للمفرق بشمال الأردن على ارتفاع (695) مترا.

النفق الذي يهزأ بالصخر :

تعد بلعمة أهم نفق مائي أثري في فلسطين، وهو محفور في الصخر الصلب كممر آمن لتزويد البلدة بالمياه من شرقي أقدام سفوحها، كما تتمتع بلعمة بموقع حصين يعتبر المنفذ الهام لمرج بن عامر ولمدينة جنين التي تتوسط دوثان وبيت شان ومجدو. وبلعمة هي إحدى مدن العصر البرونزي المبكر، منذ ثلاثة آلاف سنة ق.م، وكانت تشكل خط الدفاع الأول عن المنطقة ابتداء من نقطة انفراج وادي عين نيني والتقاؤه بوديان حنا-الخشب-النيف، حيث تتواجد الآبار لاستحصال مياه الشرب وإفادة المسافرين والرعاة والمزارعين، ومنها عين الشريف وبئر سنجل أو سنجب (حيوان من القوارض السريعة شعره كثيث وأكبر من الجرذ).

يذكر أن الفرعون المصري «تحتمس الثالث» في غزوته السابعة عشر قد احتل بلعمة وجنين في أعقاب معركة مجدو . ويشار أن مجدو أو اللجون –تل المتسلم- هي الحد الفاصل بين منطقة الروحاء وبلاد حارثة، كما احتلهما الملك الآرامي عزرا بن حدد في القرن الثامن ق.م.

ولا تفوتنا الإشارة إلى أهمية النظام المائي الرتيب وأوجه استخداماته، بالإضافة إلى كونه ممراً سرياً آمناً للمدينة والمنطقة، وهو مزود بفتحات صخرية للإضاءة ووضع الأسرجة عليها، وهو شبيه بأنفاق مائية في فلسطين كما في القدس والجيب وتل المتسلم وتل وقاص.

أعمال التنقيب :

اكتشف الموقع أول مرة الباحث الفرنسي «فكتور غورين» عام 1863م، ثم ظهر الموقع مرسوماً على خرائط مسح فلسطين بين عامي 1872-1878م باسم والي الشيخ منصور، ولعل التسمية تعود إلى الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي العلائي الصالحي –القرن الثالث عشر الميلادي-. ونظراً للتقارب العثماني الألماني فقد بدأت باكورة الدراسات الأثرية في هذا الموقع عام 1908م لدى وصول العلامة الألماني «غوتليب شوماخر» إلى مدخل النفق المائي في الخربة. كما قام «شموئيل يافين» بحفريات محدودة سنة 1973م. وفي هذا الصدد يجري تعاون بين دائرة الآثار الفلسطينية والحكومة الهولندية، ممثلة بجامعة ليدن (جنوب هولنده تأسست جامعتها عام 1575م وازدهرت مطبعتها العربية التي شهدت نشاطا «للمستشرقين)، وبإشراف مدير كلية الآثار الدكتور خيرت فان ديركوي ضمن المشروع المشترك، وعلى غرار أعمال التنقيب في دير علا بغور الأردن، وجددت أعمال التنقيب بإشراف الدكتور حمدان طه مدير دائرة الآثار العامة عامي 1996م و1997، بعد قيام بلدية جنين بتوسعة مدخل المدينة الجنوبي شارع عين نيني نابلس إثر تعرضه للخراب من جراء فيضان عام 1992 . واستمرت أعمال الحفر والتنقيب عامي 1997 و1998م، وقد استمرت أعمال الترميم بين عامي 2000 و 2005م .

طاقم العمل:

استؤنفت عمليات التنقيب الموسمية خلال الفترة (5/9 - 1998/10/21) عن طريق إيجاد مخيم ميداني متكامل، يضم كادراً مزوداً بحاسوب متطور وآلات التصوير الدقيقة والأجهزة العلمية ومطبخ معد لخدمة فريق من قرابة ثلاثين شخصاً بينهم 14 فلسطينياً و 11 هولندياً، بالإضافة إلى خبراء العمل الميداني، بإشراف د. مارغريت شتاينر وإيفلين فإن تيرشتاين عن الجانب الهولندي وجهاد ياسين ويوسف أبو طاعة عن الجانب الفلسطيني.

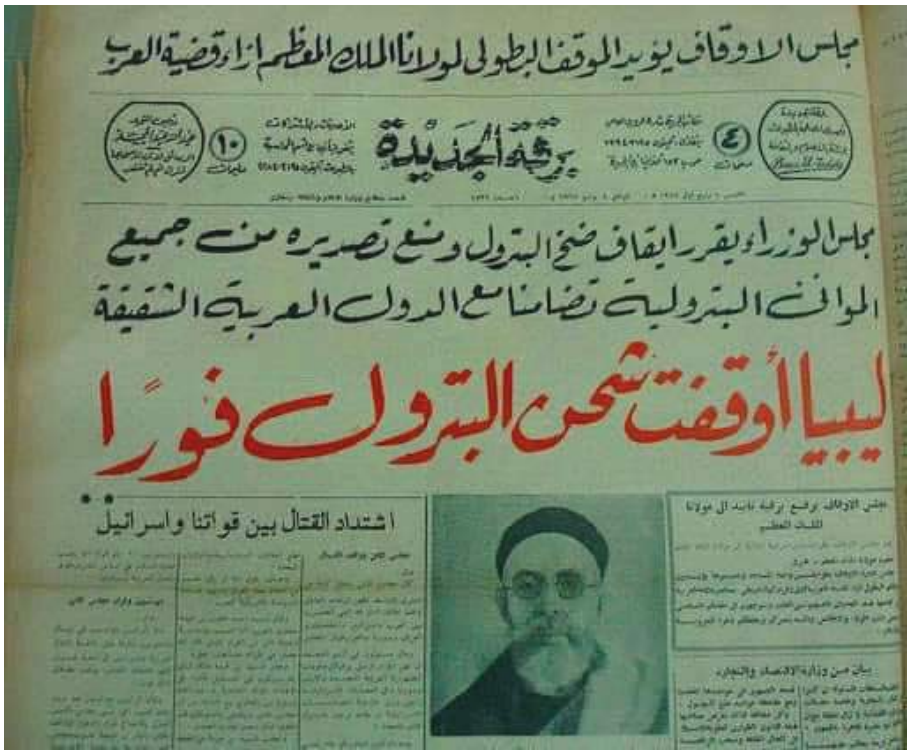
مجلس الاوقاف يؤيد الموقف البطولي لوزراء الملك المعظم إزاء قضية العرب

بوابة الجديدة

مجلس الوزراء يقرر ايقاف ضخ البترول ومنع تصديره من جميع الموانئ البترولية تضامنا مع الدول العربية الشقيقة

ليبيا أوقفت شحن البترول فورًا

اشتداد القتال بين قواتنا واسرائيل

مجلس الاوقاف يرفع برقية تأييد الى مولانا الملك المعظم

بيان من وزارة الاقتصاد والتجارة

زمان ،،،

عندما كانت إسرائيل هي العدو الأول. فقط.

قبل أن يخلقوا لنا آلاف الأعداء.

الله يا زمان .

رومـــا لجريجوري ديفيد روبرتس.

ابداعات اللص المحترم

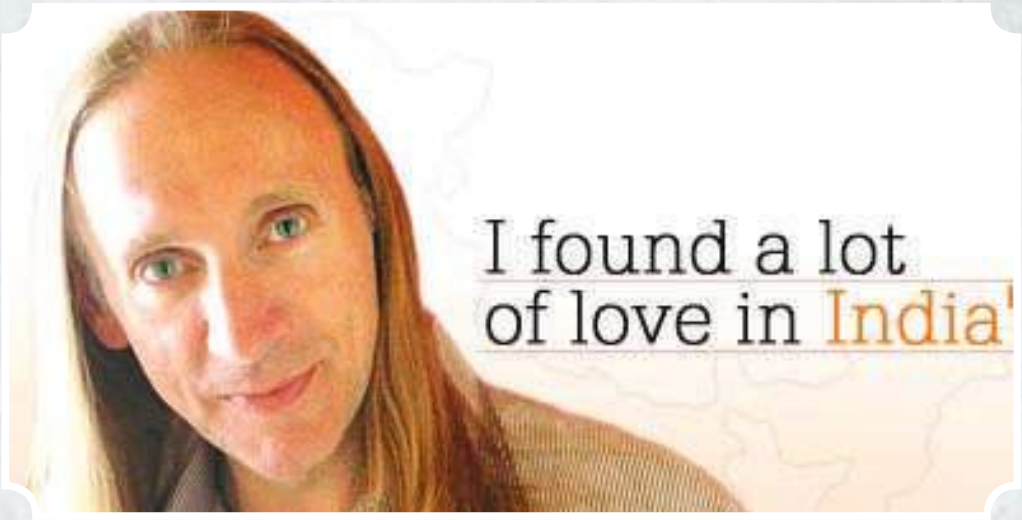

ترجمات: عطية صالح الأوجلي/ ليبيا

من أجـل رومـا كَان ذاك البُكاء، تحـت البدر. كانـت المـرة الأولـى التـي أرى فيهـا رجـلاً يبكـي لحـبّ مدينـة. كُنّـا نَجلـسُ معـا على سـطح مركب صـدئ نحرس شـحنة الأحجار الفيروزية المهربـةِ، آلاف منها، ثمانون كيلو في أكياس الفينيل السـوداء، عندما رَمى فالانتينو تيديسكو سـيجارته الوهّاجة إلى البحرِ الليلي المخضر، وبَكـى بهدوء.

كنـا ثلاثـة تلـك المَـرة، «تاتيـف»، «فالانتينو»، وأنا، وكان كُلّ منا قد خبر شـيئاً ما عن البكاء بطريقته الخاصـة. فهناك نوع مـنْ الوحدة.. شـعور بالوحشـة.. يَجْلبُها الرجالَ الخارجون عـن القانون مَعهـم إلـى كُل ما يَحبّـونَ. تبدأ مـن لحظـات الغضـبِ والخـزي التـي تَمْـلأُ عيونَهـم وعقولهـم عندمـا تطبـق الأصفـاد سلاسـلها للمرة الأولى مثل مخالبِ نسْـرِ حول رسـغِهم. بعضها يولد مِنْ رعشات القلوبَ التي تهتـز كلما أُغلقـت الأبواب الفولاذيـة الباهتة، والبعض الأخرِ مِنْ الأنانية، والخوف، والقسـوة الحمقـاء. وكُنا نحن الثلاثـة هكذا بل أكثرِ، كنا هكذا بل أسـوأ.

كانـت وحشـة «تاتيف» لوطنـه، الجزائر، بينما كنـت أنا أدمـع أحياناً مـن أجل أنـاس أَحبُّبت وفقدت، لـم يبكِ «فالانتينو» سـوى مرّة واحدة طـوال الوقـتِ الـذي عَرفتُـه، وكَانـتْ لرومـا؛ رومـا، المدينة التي كَانـتْ أمّاً، حبيبة، وصديقة إلـى الأبـد لقلب ذاك الطفـل الوحيد.

تحدّثنـا عـن خطّطنَـا لصَـرْف المـال الـذي سـنحصل عليه من تَهريب الأحجـار الكريمة مِنْ «بندر عبـاس» إلى «بومباي». «تاتيف» يريدَ

شـراء سـوار صغيـر مـن الزمـردات المحلاة بالذهـب الوردي. يعَـرفَ بنتاً جميلة شـغوفة بذاك السـوار فكّرَ في أنها قَدْ تَحبُّه، أو تشعر نحوه بشـيء قَريب من الحبِّ، إذا أشـتراه لها. بالنسـبة لـي كان الحصول على مـا يكفي من المـال لدَفْـع الإيجـار والفواتير لسـتّة شـهور جيـدة من العيـش في نسـختيَ المتواضعة من حياة بومبـاي المترفة. «تينـو»، عندما ألححنا عليه، قالَ بأنَّه سـيضع المال في حسـاب مع ما سـبق وأن تحصـل عليه من جرائـم التَهريب.

(هيا أخبرنـا يا رجل،) زاد «تاتيف» إلحاحاً،) ماذا سَـتَفعلُ بكُلّ هذا المـال الذي توفره؟ لابد أن لديـك الآن مبلغاً لا بأسَ به أليس كذلك؟)

(لـن تصدقنـي، حتـى إن أخبرتُـك) أجـابَ «تينـو»، وهو يشـعل سـيجارة.

تأجج الكبريت داخـل بوتقة يديه، فلمع اللهب لثوانـي في عينيـه الداكنتين مما جعلـه يبدوا أكثر قسـوة وبـروداً مما عرفناه.

(سَـأُصدقك،) رددت، بينما امتدت يدي إلى علبة الكبريت.

(بالطبـع أنـت سَـتَصدقه،) قـال «تاتيـف» محتجّـاً.) أن تحبـه أكثـر ممـا أحبـه.)

(أحقا ذلك ؟) ضَحكتُ.

(متأكّـد. أنـت تحـب الناس أكثر ممـا أفعل. لكـن، يـا، «تينو»، حتـى إن لم أصدقـك ، مثل لـين، فأنـا ما زلـتُ أُريدُ سَـمَاعك . هيا.... هيـا قل لنـا – بحقّ الجحيـم لمـاذا تُوفّرُ كل هـذا المال؟)

(حَسـناً،) رد «تينـو» ، وهـو يرمقنـا بنظـرة خاطفـة،) سَـرقتُ بَعْض المالِ مـرّة، وأنا أُريدُ إعادته.)

أدار وجهـه بعيداً ، لكن ضحكةَ «تاتيف» تابعت نظرتَه للأمواج الهادرة.

(ذلـك جميـل...) جيد!) هَـدر الجزائريَ . (ذلـك أمـر مضحك جداً، يـا رجل!)

(لَيـسَ كذلـك ، كمـا تعلـم) تمتـم «تينو».) لَيـسَ مضحـكاً على الإطـلاق.)

(يـا للعنـة!) ضَحـكَ «تاتيـف» ، ثـم اصطنع تكشـيرة قائلاً) يا للجحيـم ...أعتقد أنه يعني مـا يقول!)

(لماذا يا تينو؟) سَألتُ.

(لمـاذا مـا؟) غمغـمَ «تينـو» ، وهو يُحـدّقُ في الموجـات القمريـة الناتئة.

(لماذا تُريدُ إرجاع المالِ ؟)

(إذن، تصدقني؟)

(نعم. نعم، أصدقك.)

دارَ ليلتقـي عيونـي. كَانَ وجهه مربّعَاً وسـيماً ومنتظماً، يبدأ بحاشية ناعمة مِنْ الشَعر البُنِّيِّ الداكـن، ويمر خلال الحافـات العالية والبارزة جداً لخـدوده، و ينتهي بالظـلال الداكنة لفكّه المتحدّيَ القـويَ دائماً، الـذي يبدو هكذا حتى بعد حلاقته.

تفرسـتني عينـاه بحـدة شـعرت بها ولمسـتها في أنفاسـي. خطـر لـي آنـذاك بـأنّ مـا قاله صديقـي الجزائـري، «تاتيـف»، كَانَ صحيحَاً: نعـم أنا أميل لتينو أكثر ممـا يميل إليه تاتيف. أميل بالطريقة التي يتبـادل بها الخارجون عن القانـون الإعجـاب فيما بينهم.

– بالثقـةِ أكثـر مِنْ الحـبِّ، وبالحبِّ أكثـرِ مِنْ المرح.

(أنـا كُنْـتُ ...) تمتـم.... ثـمّ عاد مـرةً أخرى إلى الهـدوءِ الذي غَمر سـطح القـارب المَمْلُوء بالمجموعـاتِ الصَغيـرةِ مِنْ الرجالَ الهامسـين والغارقـين في التفكير.) أنا كُنْـتُ مُحامياً مرّة – محامـي– في مدينتِـي. أبـي، كَانَ محاميـاً قَبلـي. وأبوه، جَـدّي، هـو الأخـر كَانَ محامياً وقاضياً ومدّعياً أيضـاً. عندما أنا ... تخرجت بَـدأتُ أعملَ في مكتبي الصَغيـر الأول. العديد مِـنْ أصدقاءِ أبـي أتَوا إلـيّ بأمَوالهم، أسـرار أعمالهـم، حسـابات وأمـوال تقاعدهم ...)

صَمـتَ. وميض الابتسـامة التـي لَيّنتْ نظراته وهـو يَتكلّـمُ خبـت وتلاشـى . حجبتـه العيونُ الداكنـة ،... صَمـتَ . وكأن الظلام الكئيب قد سَـحْب فمـه إلى الجزء السـفلي القاسـي من

فكه .
(كم أَخذتَ منهم ؟) سَألتُ، بعد فترة.
(كلّـه،) أجابَ، ما زالَ يُحدّق في الموجاتِ.) كُلّ شيء دون استثناء..كله حتى أخر ليرة.)
(هَلْ قاضوك؟)
(لا . أبي ...)
تَنهّدَ بشدّة كمن قام بنقل أحد أكياسنا منْ الأحجارِ الفيروزية مرات عدة ذهاباً وإياباً عبر ظهرِ المركب.
تجعّدَ وجهه وارتعش بالنزاع بين الحاجة للاعتراف والخوف مما قد يجلب ذاك الكشف. أخيراً تراخت قسماته وبدا أنه قد قرر البوح.
(باع أبي كُلّ شيء... كُلّ ما لديه. باعَ البيتَ الذي عشنا فيه – باع بيت أمي، كان قد أهداها البيت في الذكرى الثانية عشر لزواجهم. – أقترض من كُلّ شخص يعَرفَه. أَخذَ مالاً منْ الأصدقاءِ، الأقرباء، البنوك، المافيا – حتى تمكن من إعادة ما أضعته. كانت فضيحة، دونما شك، لكن الأمر لم يصل إلى القضاء.)
(و هَربتَ.)
(نعم.)
(لماذا أَخذتَ المالَ؟.... هَلْ كانت مخدّرات؟
هَزَّ رأسهَ، ما زالَ يَنْظرُ في امتداد وتراجعِ الموجاتِ المثير.
(قمار؟)
(لا.)
(أذن امرأة؟)
ضَحكَ وهَزَّ رأسهَ ثانيةً. كَانَت ضحكة جريحة، صَغيرة ومُرهَقة. ومضت عيناه واستدار نحوي بتعبير هو أقرب لابتسامة جذابة .
(أتَعْرفُ... في بيتِ أبي – بيت أمّي – هناك بلاط، بلاط صغير جداً، في كُلّ الغُرَفِ منْ المطبخ والحمّامين إلى خلف البيتِ. كَانَ ذلكَ دائماً شَطري المفضّل من البيتِ.)
تَوقّفَ، كما لو كان يدعوني للتحدث.
(آه...) قلت.
(إنه أزرق رائع، ذاك البلاطِ الصَغير. أزرق روماني. لونُي المفضّلُ، لقد أدركتُ أخيرا لماذا الأزرق هو لونُي المفضّلُ. وهذه الأحجارِ الزرقاءِ .....)
مد يده إلى جيبه و سحبَ قطعتين خشنتين كبيرتين منْ الفيروز غير المصقول.
(هذه الأحجار التي نحن نُهرّبُها لها تقريبا نفس اللونَ ...)
حدّقَ فيها لحظة أطول وبعد ذلك قَذفَها برمي يديه نحو البحر. ذكرتني حركة الرسغ والأصابع بأولئك المزارعين الهنودِ عندما ينثرون البذور باليد.
(لماذا بحق الشيطان فعلت ذلك؟) صاح تاتيف.) إذا كنت تريد أن تُرمي المال، فأرمه عليّ!)
(لا بأس) قُلتُ بسرعة، غامزاً بعيني الجزائري المهتاج.) لا بأس . هذا نوع من الطقوس الدينية ..أنه كما تعرف ... شيء روماني.)
عندما تطلعت للوراء كان «فالانتينو» يَبْكي. راقبْتُه للحظة: راقبتْ الدموعُ تنهمر بحرية بيمنا كان يرَمى عقبَ سيجارته الوهّاجَ إلى البحر. أدرت وجهي بعيداً. ضل الإيطالي الشابَ الكئيب صامتًا لما تبقى من الرحلة. في الشهورِ التي تلت لم نسمع سوى القليل عنه. حتى ذاك النهار الذي دخل فيه تاتيف إلى « ليوبولد»؛ مطعم جيد، وحانة جيدة، ومكتب خدمات ممتاز للعديد منّا في السوق السوداء، وأخبرَني أن «تينو» سَألَه عن ذاك النوع من القروض الذي يدخل الصداقة في غيبوبة .
(و ماذا عن كُلّ ذلك المال الذي قام بتوفيره؟)
(ما زالَ لديه) قاله «تاتيف» باستهجان) لَكنَّه يَحتاجُ أكثرَ.)
(لماذا الآن؟ لماذا فَجْأة؟)

(يُريـدُ العَودة إلـى روما . وقد ابتكر صفقة ما مَـع تلك البنتِ المجنونةِ، لولينا – تَعْرفُها؟)

أومـأتُ. أنـا لا أَعْرفُها، لَكنِّني سَـمعْت الكثير عنهـا. قالـوا إنّهـا إحـدى أجمـل البنـات الأجنبيـات في بومبـاي، وأنهـا وبامتياز أقلهن جـدارة بـأي ثقة. لقد سـلبت رجال عـدة كُلّ سـنت كانوا يملكونـه ، رغم أن البعـض منهم كانـوا رجـالاً فطـن. الغريب في الأمـر أننا لم نلتـق أبداً رغم أننا عَملنـا في نفس المدينةَ منْ «كولابـا» إلـى «باندرا». كنـت أعـرف أننا في الغنى أو الفقر، في المرض أو الصحةِ سـنتقابل . كنـت كلمـا سـمعت عنها تطلعـت للقائها. كانـوا يلقبونهـا اناكونـدا (الأفعـى الكبيرةَ). لولينـا الأفعى.

(ما هي الصفقة؟) سَألته.

(لديهـم فرصـة لشـراء بَعْـض التايلانـدي الأبيـض مـن الدرجـة الأولـى. ذلـك تغـوّطٌ جيدٌ. سَـمعتُ الأفغان يتَحَدَّثون عنه الأسـبوع الماضي. الأفعى الكبيرة، سَتَحْملُه في جسمِها. لقـد فعلـت ذلـك مـن قبـل وهي تجيـد هذا النـوع من العمـل. يَقُولونَ بعـد تطويره مرات عـدة – سـيكون صافٍ بما فيـه الكفاية لأَخْذ أربـع تخفيفـات – سَـيكونُ عِنْدَهُـمْ تقريبـاً أربعـة كيلوات منْ المـادة. ذلك يكفي للحصول علـى كُلّ المـال الـذي يريـد إعادتـه في طلقةِ واحـدة. أَتتذكّـرُ حديثـه الجنوني عـن إرجاع المـال عندمـا كنا في رحلـة إيـران الأخيرة؟) (أَتذكّـرُ. لكن لماذا يَحتاجُ ليقترض منك؟ وقد حُصَلُ على مال كافٍ لشِـراء البلاء التايلاندي كله ، أليس كذلك؟)

(ليـس علـى مـا يبـدو) ابتسـم «تاتيـف» ابتسـامةً عريضـة،) وهـذا أفضـل جـزءٍ – هـو يَجِـبُ أَنْ يَدْفـعَ كُلّ ديون الأفعـى الكبيرة أولاً، كـي تعـود حـرّةً معه إلى رومـا . أَتَعْرفُ كَـمْ تَدينُ تلك العاهـرة المجنونـةُ إلى عصابةِ براتـاب؟) الآلاف، يا رجل. وأنا أعني دولاراتِ . واو...لقـد دَخلـت في مشـكلةٍ خطيـرة مَـع أولئـك الرجـال، وهـم لا يَمزحون.)

(إذن ، بتلـك الصفقـةُ – يدفع تينـو ديونها مَن أغلـب مدّخراته، ثمّ يَسـتعيرُ بمـا فيه الكفاية لشـراء المادة التايلانديةِ، تُهرّبُها لَـهُ، يَبيعونَها، وبذلـك يَدْفعَ دينه القـديم في روما.)

(تقريباً،) اسـتنتج «تاتيف» ، ضحك وهو يمَدَّ يَـدَّه لهَـزّ يدي.) كـم مخبول فالانتينـو هذا . أنـت تَعْـرفُ، إذا كنت مجنونا بمـا فيه الكفاية لإعـادة المال الذي سـرقته – بعـد أن أُعيدَ من قِبـل أبوك – سـتكون مجنونا بمـا فيه الكفاية للسُـقُوط في الفَـمّ المفتـوح للأفعـى الكبيرةِ . واو...؟)

(كيف رددت عليه؟)

(هَـلْ تمزح..!؟ أَتعتقـدُ أنّني أُهـرّبُ الأحجارَ مـن بنـدر عبـاس، وأخاطرُ بقضاء سـنتينَ في سـجن إيرانـي نـتن، لأعيـر نقودي لشـخص مجنون مثل تينو؟ قلت له « أشـرب أكثرَ وتذكّرْ أقـل، أفعـل مثل ما نفعل ، حتى لا تعود تشـعر بالذنب مـرة أخرى».

(أين تَركتَه؟)

(في مكانـه. لعنـه اللّه، لـين. أنس أمـره . أنا ذاهـب لرؤية بنتين مهذبتين جـداً، وافقتا على أنْ لا تكونَـا مهذبتان لليلة كاملـةِ . لم لا تَجيءُ . أهه..؟)

(لا. رُبَّمَا لاحقاً.)

(أنـت حـر) قالهـا باسـتهجان، غيمت عيناه بأفكاره حول الفتيات.) سَأراك لاحقاً اللّيلة.)

خَـرجَ، تركنـي وحيـداً مـع تجّهـم لَـمْ أُشـاء الاعتـراف بـه رغـم تحديقـه في عبـر المرايا العديـدة لـذاك المطعـم المزدحـم. بعـد دقائق قليلـة خرجت مـن نفسَ البابِ، لكـن خطواتَي أخذتْنـي في اتجـاه مختلـف. عندمـا وَجـدتُ «فالانتينـو» كَانَ حزينَـاً ومُهَتاجـاً في آن واحد. كان يبـدوا كمـن عـاد لتـوه من جنـازة صديق حميـم له. أَخـذَ المـالَ، عندمـا أعطيتُـه إليه – عندمـا اكتشـفت كَـمْ يحتاج أعطيتـه مبلغا

صغيـرا إضافيا – حـدّقَ في بنفس الحدة التي رأيتها تلـك الليلة على المركب؛ محمومة بالأمل ، وبـروحُ العـار. أدركـت آنـذاك كَـمْ أَحببتُـه. صافحَني، اسـتدار، ولـم أره ثانية قط.

بعد شـهرين شَـقّتْ رسـالة مِنْ تينـو طريقها لـي في مطعم ليوبولد. سُـلمت لـي بيد الأفعى الكبيـرة بنفسـها. نَجحـتْ الصفقـةُ بمـا فيه الكفايـة وحققـت الكثير مـنْ المـال، أخبرتْني، لكـن فالانتينـو تحطـم. رفَـض أبـوه أن يَأْخذَ المـال منه، كمـا لم يقبل أحد مـن الناس الذين خَـدُعُهـم أن يَتكلّموا معه، أو يَتعاملوا معه على الإطلاق.

(جُنَ ،) قالتْ بشـكل قاطع.) لم أعد أعرفه. أصبح مختلفـاً. أنه رجل مجنـون. أنا أحببتُه، كما تعلـم. هكذا كان الأمـر. وألا لماذا تَحمّلتُ الخطرَ لمُسَـاعَدَته. لكن الحبَّ

لـم يعـد يعنى شـيئا في آخر المطاف. لا شـيء لَهُ. لا شـيء لـي. رَجعتُ إلى الغرفـة، غرفتنا، في أحـد الأيام لأجـده معلقا في الشـرفة التي أعتـاد أنَ يَنْظـرُ منهـا كُلّ يـوم علـى المدينـة، والمـال، المـال كَانَ هناك، علـى الأرضية، تحت أقدامـه المُتأرجحة.)

أشـرتُ للنـادلَ بأصابعي، ثلاثة أصابع بشـكل الحرف «W»،ليجَلْب الويسـكي. قدحانَ انزلقا أمامنـا، مَع كأس ماء مثلج. شَـربتْ كأسـها في جرعتين متتاليتين.

(تَـركَ لـي وصيـة. يُريدُنـي أنّ أَعطيك هذا المـال. يَقُولُ بأنّـه مالُـكَ . «si»..؟)

ببـطء، بدا لـي كتردّد مـوروث، دَفعـتْ حزمة مَلْفُوفـة بورقـة عبـر المنضدة إلـى يدي.

(لا أقصـد فحص فم جـواد قُدم لي كهدية ،) قُلتُ لها، ويَدّي تَسـتندُ على الحزمة،)

ولكن لماذا أعدتَ المال؟)

(أنت ... أنت.. أتسـبني؟) زمجرتْ، وأطبقت أسنانها.

(ماذا..؟)

(أتدعونني عاهرة! ..من تظن نفسك ..؟)

(قلـت حصانُ،) صحّحتُ، أعتقد أنها أسـأت السـمع) حصـان – أنـا كُنْـتُ أَتحـدّثُ عـن الخيـول. هو ... هو تعبيـرُ إنجليزيُ. لكن المهم الآن ، والسـؤال، مـازال كما كان سـابقاً – لماذا أبقيـتَ المالَ؟)

(لا أحتاج إليه) قالت وهي تشـد أنفاسـها.)

لـدي كُلّ المـال. وإذا احتجت إليه، سَأُسـتعيدُه منك.)

(حسـناً) تمتمـتُ، محاولا مواجهـة التحدي، مـدركا بأننـي لن أتمكن مـن ذلك.

(وهذا،) قالتْ، مدت يدها لظرف في حقيبتها ،معلنة نهاية مقابلَتنـا ،) هذا لك. كان يُريدُني أَنْ أعطيك هذه الرسالَة.)

كان ثمة شيءُ صغير وصلب، في ظرف الرسالة الرقيق. دَفعتُه إلى جيبي، وقفت لأمسـك يدها وأطبـعَ على خدهـا قَبلة خاطفـة. بينما كانت تخَـرجَ مـن الباب العريض كانـت مجموعة من طـلاب الجامعـة الهنود الشـباب يصَفرون لها ويغازلونهـا. بـدت لبرهة غير مهتمـة ، ولكنها في اللحظـة الأخيـرة نفضت شَـعرَها الأسـودَ للخلـف وابتسـمت لهـم. فسـارعوا ورائهـا وأبتلعهم الشـارع المزدحم.

بعـد زمـن ليـس طويـلاً، وبعد بضعـة أحلام جيدة وأخرى سـيئةً، وَجدتُ نفسـي على ظهر تلـك المركـب الصدئ ، مع شـحنة أخـرى مِنْ الفيـروز المُهَـرَّب، ومرةً أخرى تحـت نور البدر مـع شـريكين آخريـن: تاتيـف، ومـع هولندي مرتاب وسـريع الغضب يسَمّى فينتينك. كانت لحظة تفتـت فيها الحديث ،وتآمـرَ فيها ضوء القمـر مَـع الأمـواج الوافـرة التي كانـت تنوء تحـت عـبءَ المركـب، لتَذكيري بتينـو والدموع التـي أراقهـا من أجـل مدينتـه. مـددت يدي إلى جيبي وسَحبت الرسـالة المَطْوية التي كُنْتُ أحَمْلهـا منذ أن أعطتهـا الأفعى الكبيـرةَ لي. قلبت المظـروف، تَركتُ البلاطتـين الصَغيرتينَ تَسْـقطان في كفي المفتوحتين. كانتا زرقاويتين: ليس بمثل زرقة الفيروز الفارسـي، لكنً قريب جـدا مـن ذلك. . تخيلـت بأنّـني أَراها مبعثرة

في صفـوفِ ومغزولـة في خيوط عبـر حيطانِ ذاك البيـتِ الـذي أحبه تينو. أحسسـت أنّني ألمس الحائـطَ، كمـا فعـل هو كطفل،أمشـى متجـاوزاً حيطان الحمام ذات البـلاط الأزرق إلى المطبخ وثم إلى نورِ الشـمس الذي سـطع في عيونـه كولد صغيـر. ولكنـه كان ليلاً على سـطح مركب صدئ تفوح برائحة زيتِ الديزل و السـمكِ الفاسـدِ، ليس ثمة حيطانَ في عالم كله مـاء؛ عالم الأمواج الفزعة الجياشـة التي تكـدح نحو شـاطئ بعيد.

رَميـتُ البـلاطَ إلـى المـاءِ، بكفـين مفتوحتين ، كمـا يفعـل المزارعـون الهنود عندمـا يَرْمونَ بذورَهم إلـى الأفواه الغضنـة الناعمة للتربة. لا أَعْـرفُ إذا كان ذلك ما أرادَني تينو أَنْ أفعَلُ بهـا. لا أَعْـرفُ ما الـذي اعتقده في سـاعاته الأخيـرة على الشـرفةِ الحديديـةِ. مهما كان اعتقـاده، مهمـا كان تفكيره . فقـد كان هناك قمـرٌ كبيـر في البحرِ جوار المركـبِ تلك الليلة مما جعلنـي أعجز عن مُقَاوَمَـة غريزةٍ قديمةٍ برمـي البـلاطِ، وتَركـه يَرتاح في نفـس المكان الـذي رمى ذات مـرة فيه دموعَـه التركوازيةَ. وبينمـا كانـت تلك النجـومَ الزرقـاءَ الصَغيرةَ تغادر يَـدَّي تَألّقت، للحظة بدت مثل العملات المعدنيةِ التي نرميها للتَمنّي ، قَبْلَ أَنْ تتلاشـى في الأنفـس النائمةِ للبحـرِ العظيم.

(بحق الشـيطان ماذا تفعـل؟) صَاحَ فينتينك ، اسـتدارت كل الـرؤوس علـى ذلك السـطح تجاهنـا.) ما الـذي رَميتَه في البحـرِ الآن؟) أهملتُـه. هنـاك نـوع مِـنْ السـريةِ تتبـع من الرغبـة في النكايـةِ .وتخلـق صمتـا صعـب الكسـر. صـاحَ «فينتينك» ثانيـةً، لَكنّي تركت عيونُـي وأفكارُي تتابع تتالـي الأمواج المتنهدة. (حسـنا) سَـمعتُ قول تاتيف خلفي، بصوت وأسـلوب هادئـين.) هـذا نوع مـن الطقوس ... عبادة ..كما تَعْرفُ؟ شـيء روماني. شّـيء يعملـه الرومانَ.)

(رومانـي؟) عَـضَّ فينتينـك شـفتيه قائلاً) أَنـا هولنديُ. أنت جزائـري. وهو ... اللّه فقط يَعْـرفُ مـا هـو، لَكنَّه لَيـسَ روماني. مـا الذي تَتحـدّثُ عنه؟)

(هي نـوعُ من التقاليد،) أوضّحَ «تاتيف» ، كان يَعْرفُنـي معْرفة كافية ليعلم أنّني كُنْتُ أبتسـم، بالرغـم من أَنَّ أديـر ظهري له،) كلنـا رومان، في هـذا الجـزء من الرحلة. هنـا، في هذا جزءِ المحيـطِ، كلنا رومان.

المؤلف

جريجـوري ديفيـد روبرتس ولـدَ بميلبورن في اسـتراليا في يونيه من العـام 1952 م . كاتب موهـوب. بدأ الكتابة عندمـا كان طالبَاً يدرس الفلسـفة. نشط سياسـياً لبعض الوقت .أدمنَ الهيروين عقـب انهيار زواجـه و فَقدانهَ رعايةَ ابنته. ارتكب سلسـلة من السـرقاتِ مستعملاً مسدّسـاً غيـر حقيقـي، ممـا جعـل وسـائل الإعلام تسـبغ عليـه وُصِفَ اللـص المحترم. حُكم عليه بالسـجن تسـع عشْرة سنة. نجح في الهَروبَ من سـجن فيكتوريا في يوليو 1980م وسـافر إلى نيوزيلندا وآسـيا وأفريقيا وأوروبا. وأصبـح بذلـك المطلـوب الأول لقـوات الأمـن الاسـترالية. أمضى عشْرة سَـنَواتٍ من هروبه وهـو في بومبـاي - حيث أَسّـسَ عيـادةً طبيةً مجانيـة لسـكان الأحيـاء الرثةِ، عَمـل كمزور، مهرّب . ومهرب أسـلحة ومحارب في الشـوارعِ لفرع مافيـا بومباي.

أعيـد القبض عليه في ألمانيا، حيث قضى جزءاً من عقوبته هناك وأمضى الباقي في السـجون الأسـترالية. أَسّـسَ بعد إطلاق سراحه شركةَ إعلامية ناجحة. ومنذ الانتشار العالمي لروايته الأولـى «شـانتارام»، هو يحتـرف الكتَابة ، في بلـده وفي بلدان عِـدّة. يتم حاليا اعـداد فيلما سـينمائيا حول حياته من بطولـة جوني ديب.

Roma
Author: Gregory David Roberts
ISBN: B000A0F6NG
Publisher: Resolution Theory
.Pty Ltd. 2004

الشاعرة السورية عُلا حسامو لمجلة الليبي :

استمعوا إلى من تريدون ثم انسوا ما سمعتموه

حاورها حامد الصالحين الغيثي.ليبيا

من الإبداعات التي زيّن بها الإنسان هذا العالم ، فن الكتابة. والكتابة الإبداعية هي التي تلمس القارئ ، وتنير عقله ، وكيف إذا كان القارئ طفلاً. هنا لابد أن يكون الكاتب يتمتع بمهارات أخرى غير القدرة التعبيرية للكتابة . و«علا حسامو» كتبت لكافة العقول كباراً وصغاراً .

«علا حسامو» شاعرة وكاتبة سوريّة، ومدرّبة تنمويّة، مقيمة حالياً ككاتب ضيف في مدينة إسكلستونا في السّويد .عملت في الصحافة المطبوعة والإلكترونية، وفي عدة مجلات أطفال سوريّة وعربيّة.

كتبت وأخرجت عدة مسرحيات للأطفال، ومسرحيّة للكبار بعنوان «حقائب»، كما شاركت تمثيلاً في مسرحيّة «أوروبا- أمريكا- خط جديد»، و«الرهان».

نُشرت قصائدها في عدة مطبوعات ومجلات منها «الآداب اللبنانية»، «جيرون»، «جريدة السفير»، «أبابيل»، مجلة الحركة الشعرية في المكسيك، «ري»، كما تُرجمت بعض قصائدها إلى الفرنسية، الإسبانية، المكسيكيّة، الإنكليزية والبولندية.

شاركت في عدة أمسيات ومهرجانات أدبية وشعريّة في سوريا ولبنان.، وأسّست عدّة مبادرات ومشاريع ثقافيّة منها «مشغل صادَ نون الثّقافي، مشروع أبيض لتنمية وثقافة الطّفل، تَيتا الحكواتيّة».

لديها في أدب الأطفال: 11 قصة للأطفال عن دور نشر في لبنان، الأردن وسوريا، بالإضافة إلى رواية « لليافعين.، وفي الشّعر: ديوان «حيث لا أحد» عن مجلة الحركة الشعرية في المكسيك 2013، و«ريشة حلم زرقا»، شعر محكي- عن مجموعة خوابي الثقافية - سوريا 2013، و«عشاءٌ متأخّرٌ تحت جلدي» عن دار كنعان للنشر والتوزيع- سوريا 2019.

بالإضافة إلى ألبوم «صرخة إنسان» 2014 وهو ألبوم غنائي من أجل السلام، كتبت أغانيه ولحّنتها وشاركت فيه غناءً.

تمّ ترشيحها لجوائز عالمية في أدب الأطفال من قِبل دار أصالة للنشر والتوزيع في لبنان عن روايتها «رحلة الضفدعة وذبابة الحظ» وعن قصص «ليست مجرد غيمة، ورقة بيضاء وعلبة ألوان».

_ كيف جاءت «علا حسامو» إلى عالم الشعر؟ حدث أم وجع أم حالة معاناة للذات وللآخر؟

لست متأكدة إن كنت مَن دخل عالم الشّعر، أم أنه مَن دخلني، ربّما هو جينٌ يتشكّل في الجسم منذ البدء، شيءٌ ما كالأرق، كالقلق، وكثيراً ما يكون كالمَسّ، يقتحمك بكلّ عتاده، وعندما لا تكون مستعدّاً، يعذّبكَ ويصيبك بالاكتئاب، وحين تستطيع لمسه بيدك تصاب بالهوس، أظنه حالةٌ أشبه ما تكون بالبايبولر، تجعلك تتأرجح بين مزاجين متناقضين، بين حالتين نفسيّتين متضادّتين، عندما تكتبه تشعر بالهدوء ربّما لوقتٍ قصيرٍ فقط، قبلَ أن يمرّر سكّينه المعشوقة مرّةً أخرى بين أنسجتك، إنه يعيد هدمك وبناءك مرّاتٍ ومرّات، ولن تكفّ عن تعلّقك به، عن ولهك، وعن حاجتك إليه.

_ ما الذي جعل «علا حسامو» تدخل عالم الأطفال وتكتب لهم؟

إنّ الكتابة، سواءٌ أكانت للكبار أو للأطفال، في الشّعر، أو القصّةِ أو أيّ جنسٍ أدبيٍ أو فنيٍّ آخر، لا تأتي عن قرارٍ أو سابقِ إصرارٍ وترصّد، حسب اعتقادي على الأقلّ، ولكن الاستمرار بها يتطلّب كلّ ذلك، أحياناً أكره كوني أكتب للكبار وللأطفال، من الصّعب أن تكون بهذه البراءة، وبذاك النّضج، أن أكونَ امرأةً وطفلةً في آن، نفسيّاً هذا مُربك، لكن لكي أكتب الشعر وأكتب للأطفال، عليَّ أن أكون كذلك، لا أنكرُ أنَّ الأمرَ مسلٍّ أحياناً، لكنّه مُنهك، أحبُّ الأطفال وعالمهم، بل أعشقه، ومنذ طفولتي، كنتُ «الحكواتيّة» الّتي تختلقُ قصصاً للأطفال الأصغر منها؛ وأثناء دراستي الجامعيّة، عملتُ في مجال مسرح وثقافة الطّفل، وأغرمتُ أكثر بهذا العالم، وبدأت أكتبُ له، وأعمل فيه بالتّوازي مع مجالاتِ عملي وشغفي الأخرى.

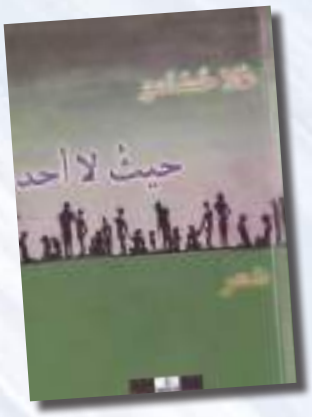

_ «علا» تكتب الشعر وقصص الأطفال والتمثيل في المسرح وتغني للأطفال، بالإضافة إلى عملها في مجال الصحافة، ما هي أوجه التقارب بين هذه الأجناس؟.. وهل هناك صعوبة للممارسة هذه الأنواع؟ رغم إنك قد سُئلتِ هذا السؤال من قبل، إلا أننا نحب أن نستمع إلى الإجابة منك مرة اخرى .

القاسم المشترك هو الشّغف والكلمة والخَلق، والأهمّ، السّعي نحو الحريّة. لم يتسنَّ لي إعطاء الصّحافة الأولويّة في قائمة أعمالي وما أفعله في هذه الحياة، رغم أنّني اخترتها كاختصاصٍ جامعيّ، لكنّ، أعتقد أنَّ وضع الصّحافة السيء، دراسةً ومهنةً، في سوريا كان له أثرٌ كبيرٌ في ذلك. لكن نعم، الجمع بين كلّ هذه الأنواع صعبٌ للغاية، بل منهك، رغم أنّه مسلٍ في كثير من الأحيان، ويسمح لي بالطّيران في عوالم كثيرة خارجَ حدود الزّوتين، والتّصنيفات. كثيراً ما أُتّهمُ بأنّني «مسّبعة الكارات» وأنّ هذا أمرٌ من شأنهِ إعاقتي عن التعمّق والتّمكّن في مجالٍ واختصاصٍ واحد، وكثيرٌ من أصدقائي ذوي الأسماء المعروفة في الأدب أو الفنّ أو الصحافة ينصحونني بالتّركيز على اختصاصٍ واحد ويخبرونني متيقّنين ـــ «عندما تصبحين في الخمسين أو السّتين يمكنكِ أن تجرّبي اختصاصاتٍ أخرى وأن تتشعّبي».

أنا أرى الأمر معكوساً، مثله مثل أيّ شيءٍ في حياة الإنسان، أرى أنّ التجربةَ والاكتشاف هي الخطوة الأولى للوصول إلى مكانٍ بعينه، ولأقل، ربّما لن أصلَ إلى أيّ مكانٍ في النّهاية لكنّني سأردّد مبتسمةً ـــ « نعم لقد استمتعتُ في هذه الرّحلة».

_ الحب، الوطن، الغربة والأمومة، ماذا تعني لك هذه المفردات وكيف تتجلى في قصائدك؟

الحبّ هو القدرة المطلقة الّتي إن مسستَها صرتها، وإن فعلت، صار جسمكَ حوضَ نهرٍ عظيم، وسريركَ بتلةَ توليب عملاقة تتقافزُ الملائكةُ والشّياطينُ عليها وهي تضحك، وإن مررتَ بدمعةٍ صارت زنبقةً بيضاء، وإن نظرتَ إلى حصاةٍ صارت ينبوعاً مقدّساً. الأمومةُ حُبّ، والوطنُ حُب، والغربةُ أنتَ دونهم. في قصائدي تتجلّى هذه المعاني الأربعة بطرق مختلفة، في كلِّ قصيدةٍ تتقمّصُ هيئةً ما، لكنّها موجودةٌ دائماً، أحبُّ الادّعاء بأنّني لا أتناولها بطرق تقليديّة، أو نمطيّة، فأنا ببساطة أعيشها بطريقتي الخاصّة،

وأحـاول دائمـاً اكتشـافَها أكثـر وأعمـق، سـواءً في الحيـاةِ أو في الشّـعر.

_ إنسانيتنا هي المنقذ الوحيد لوطنٍ وشعبٍ وحضارةٍ، لابد لنا أن نحييها بكلمةٍ.. بلحنٍ.. بصرخةِ إنسان تعب من الحرب وهو ينادي أخاه الإنسان كي يغني معه ويبني الوطن بالمحبة.. من هنا جاءت مبادرة «صرخة إنسان».. مبادرة من أجل السلام والتي انطلقت بألبوم غنائي يضم أربعة أغانٍ بالإضافة إلى شعر صرخة إنسان من كلمات وألحان «علا حسامو»، هل انتجت هذه الفكرة ثمارها؟.. وهل هناك ما يشابه هذه المبادرة في المستقبل؟

«صرخـة إنسـان»، كان تجربـة جميلة، هي محاولـة لسـقايةِ الورود في قلـوب الناس، الّذيـنَ أنسـتهم الحـرب أنَّ في داخـل كلّ منهـم حديقـةٌ عطشـى، إن ماتت يموتون. الحـرب أقذر وأقـوى من أن تطفـئ نارها محاولـةٌ خجولـة، أو تجربـةٌ واحـدة، إنها تحتـاجُ عمـراً مـن التجـارب والمحـاولات الصّادقـة، عمـراً مـن الحـبّ، وللأسـف الخـوف والكراهيـةُ ومـا بذرتـه الأنظمـةُ مـن ذلـك فينـا ورعتـه دامَ عمـراً، وهـا هـو الآن يؤتـي ثمـاره، أؤمـن بالإنسـان، وبالقـدرة والإرادة، لكنّني كـي أكون واقعيّةً منطقيّـةً، أعتـرف بـأنَّ عمـراً موازيـاً من الحـبّ والوعي والإنسـانيّة هو مـا نحتاجه قبـل أن نقطـف ثمـاراً حلوة.

مـا يخـصّ المسـتقبل دعـهُ للمسـتقبل، أنا الآن في بلـدٍ جديـدٍ وحيـاةٍ جديـدةٍ كليّـاً عليّ، مـن أصغر تفصيل فيهـا حتّى أكبره، ومازالـت الأفـكار في رأسـي مختلطة، ثمّة خطـطٌ ورؤىً، لكن لـم يتبلـور أيٌّ منها، أو تضّـح ملامحـه بعد، إنّما بالتّأكيد سـيكون كلّ مـا أفعلـه أو أنفّذه سـعياً نحو ما أؤمن بـه، ومـا تجلّى بعضـه في الألبوم.

_ مقارنة بسنوات الألفية الماضية ما رأيك بمستوى الحركة الأدبية الراهنة؟

إن كنـتَ تقصـد الحركـة الأدبيّـة في العالم العربـي، فهي كمـا أظنّ مازالـت في مرحلة مخـاض، هـذا المخـاض الّذي هـو ضرورةٌ لـكلِّ تقـدّم، هـو عنصـرٌ أساسـيٌّ وبـدء لأيّ مسـار، التّرجمـةُ تمـارس دورهـا، والتكّنولوجيـا تلعـب لعبتهـا، ، والأجيـال الجديـدة الّتـي خرجـت للنّـور تحـاول فـرضَ طريقتهـا وأسـلوبها في الأدب كمـا في كلّ مجـالٍ آخـر في مجـالات الحيـاة، ثَمَّـة تجـاربَ جميلـةٌ للغايـة وأخـرى ملفةٌ للنّظـر، وتجـارب مثيـرةٌ للفضـول، لكـن في غيـاب النّقـد والموضوعيّـة، وفي غيـاب الفصـل بـين الشّـخصيّ والمهنيّ، أظـنُّ أنَّ مـا يحدث لـن يثمـرَ إيجابيّـاً بشـكلٍ عامّ، لغـة الأدب تتغيّـر، والكيبـورد يصبـح أكثر تأثيـراً، لسـت رجعيّـةً، لكنّنـي أرى أنَّ السّـاحة تزدحمُ بأشـباه الأدباء والشّـعراء، وأنَّ الأكفّـاء لا ينالـون اسـتحقاقهم، يقـال «الزمـن غربـال» و «في النهايـة لا يصحّ إلا الصّحيـح» لكنّنـي، بصراحة، لـم أعد أؤمن بذلـك. أدركُ تمامـاً أنّ كلّ حقبـةٍ تاريخيّة نالـت نصيبهـا مـن تلـك الحالـة، وكلامي ليـس جديداً، وقـد قاله قبلـي الكثيرون في حقـب ومراحـل مختلفـة مـن عمـر الكتابة والأدب، وكل ذلـك سـيتفتّق في النّهايـة عن

أمـرٍ جديد، أفضّـلُ أن أكـون متفائلة، وأن أقـولَ لـم يحـن موعـد الـولادةِ بعد.

_ هنـاك مـن يصنـف الأدب إلى أدب نسـائي وأدب ذكـوري، مـا رأيـك بهـذا التصنيـف؟.. وهـل أخـذ الأدب النسـائي حقـه في هـذا التصنيـف؟

أنـا ضـدّ التّصنيفات على كافّـة الأصعدة، وأعتقـد أنّ مـن العنصريّـة القـول أنَّ هذا التّصنيـف ظلـمَ «الأدب النّسـائي»، فلمَ لم أسـمع أيّ أحدٍ يقول أنّ هـذا التّصنيف قد ظلـمَ «الأدب الذّكـوري»؟!، هل السّـبب هو الاعتقـاد بـأن الأدب الذكـوري هـو العـامّ والأصـل!، الأدب أدب أيّـاً كان مـن يخطّه أو يقولـه. وفي مسـألة الظّلـم والمظلوميّة، أرى أنَّ الأدب بحـدّ ذاتـه مظلوم.

_ مـاذا تقرأ علا حسـامو؟.. ولمن تقرأ..؟

قراءاتـي متنوّعـةٌ جـدّاً، مـن الشّـعر إلـى الروايـة والقصّـة القصيـرة وغيرهـا، لكنّنـي غالبـاً أسـيرة الرّوايـة، كمـا أنّنـي أقـرأ أدب الأطفـال بكثـرة، وهنـا متعـةٌ أخـرى. أمّـا لمـن أقـرأ، فـلا اسـمَ محدّد أتتبّـع خطواتـه، أقـرأُ للجميع، مـن الغرب والشّـرق، من نصـف الكرة الشّـماليّة حتّى نصفهـا الجنوبـيّ، في الحقيقـة سـؤالكَ هـذا ذكّرنـي بقائمـةِ الكتـب الّتـي يجـب أن أقرأهـا، هـذه القائمـة اللعينـة الّتي لا تفتـأ تطـول، وكثيراً ما أتعـاركُ معها، وقد ينتهـي العِراك، بأن أشـعل بعض الشّـموع، أختـارُ أغنيـةً جميلة، ثمَّ أديـر ظهري لها.

_ هـل أنصفـك الإعـلام عمومـاً وخصوصـاً الإعـلام السـوري، في تسـليط الضـوء علـى شـعرك وقصصـك؟

هـل أنصفنـي الإعـلام ؟.. مممـم.. وهـل أنصـفَ الإعـلامُ أحـداً! لا أظـنُّ ذلـك، أساسـاً الأدب ليسَ موضوعاً رئيسياً الآن، وبالتّالـي الأدبـاء، إلّا مَن اسـتطاع التقاط بعـض الأضواء في مناسـبةٍ أو أخرى. طبعاً

مـع بعـض الاسـتثناءاتِ القليلة الّتـي منها مـن يسـتحقّ ومنهـا من لا يسـتحقّ.

_ رسـالتك إلى الجيل الأدبي الصاعد.

هذه الخاتمـةُ مربكة لعدّةِ أسـباب، أوّلها أنّها تشـعرُني بأنّنـي لَم أعد من هـذا الجيل، فهل بـدأتُ بالهبـوط أم أنَّ عليَّ أن أمشـي بطريقٍ أفقـيٍّ ممـلٍّ قبـل نهايـة طريقـي؟! هههههـه، ثانيـاً لا أحـبُّ دور الواعـظ، فلـم أنتـهِ بعدُ من تلقّي العِظـات. وإن كنتُ مضطرّةً للإجابةِ سـأقول: اسـتمعوا إلى من تريدون، ثُمّ انسوا كلّ ما سـمعتموه وعيشـوا تجاربكم الخاصّة، واكتشـفوا الطّرقـاتِ، كونـوا أحـراراً احرقوا السّـجن والسّـجّان، وامضـوا حيثمـا تريدون وكونـوا أصدقـاء مخلصـين للغـة وللصّـدق، والآن انسـوا مـا قُلت وامضـوا بعيداً.

بالليبي الفصيح ..

إعداد : مناي ابراهيم

حينما مات أبي
أطل الحزن أسوداً
يطوف حول روحي !

حنان علي كابو . بنغازي

أنا الدرويش المجاهر بإعلانها آلهة
المهديُّ بلا انتظارٍ منها
كشجىً حزين
في تغريدة طائرٍ خارج السرب
تنزف دمعها نايًا موحش اللحاء
أمضي بلا أدراجٍ للعودة
نحو وداعٍ أخيرٍ من تيه
سأتركها مدينةً لي
بصلاة غائبٍ
وأضرحةٍ من قِباب
وأهرامٍ من رثاء .

المهدي الحمروني . هون

أصحو مبكراً، حتى في العطلات، التي
أحرق فيها ساعات السهر .
التهم هاتفي الذكي بعيونٍ مرهقةٍ تقلب
الأخبار عن هناك..
حيث الشتاء القارس والرصاص الأعمى
والأسر المشتتة..
هناك الوطن الذي لاذ عقله بالفرار..
عن يأسٍ متجدد وأملٍ مبعثر وموتٍ
بالمجان ..
بين صفحات الفيس تلك التي تعج
بالكراهية والحقد..
على عتبة الوطن يفترش السماسرة
بضاعتهم القذرة..
بأوراق المختار ورأس جورج واشنطن
يشترى المتحاربون اختراع نوبل..
ما يرسم على محياي البسمة جهود
البعض للملمة الأوراق المبعثرة وصنع
ثقافة !

محمد بن طاهر/مصراته

وجهك الذي يُباغت قلبي كل ليلة..
أتحايل بهِ على الواقع..
ثمة صراع يدور بين الخوف
والرغبة في جلوسنا متقابلين على طاولة
الحبّ..
أنتَ الذي أدسُّك
في قلبي كوثيقة حرب.

صابرين المجبري. بنغازي

أشاركك الكره
وتناول المارغوانا ونفث الدخان.. أشاركك
الاحتراق بالشعور..
أشاركك القتل بسهم واحد..
أشاركك القُبل والغدر..
لقد خنتك وأنت تخونني..
رميتك .. بينما أنت
ترميني..
وسحبتك بينما أنت
تسحبني لعناق..
أفلتُّ يدك في الوقت الذي أفلتها..
وشرعت بالمغادرة في الوقت
الذي فكرت فيه بالرحيل..
توقف مرةً ودعنا نختلف..
فيكون توقيتك على الأقل مسابقاً
لتوقيتي .

نسيم الخرباش. الزاوية.

بين كاميليا مصر وحبيبة تونس ..

عندما تتشابه التفاصيل

مصطفى نصر. مصر

في هذه المقالة معلومات لا ندري مدى حظها من الصحة، لكن الحدث التاريخي يفرض أمانة النقل عن صاحب المقال مثلما ورد .

وهذه فرصة نريدها لبعض من يرى أن الرد واجب لتصحيح بعض ما قد يراه خارجاً عن حدود المصداقية .

لكن الذي نريد لفت النظر إليه من وراء نشر هذه المقالة هو ذلك التشابه في المصير بين نجمتين علا بهما الفن وهبطت بهما الظروف، ظروف النشأة وظروف الانتماء وظروف المسلك.

لنقرأ أولاً ثم نحكم بعد الحرف الأخير .

بداية من الغرب وأخرى من الشرق :

ولدت «ليليان فيكتور كوهين»، (وشهرتها الفنية «كاميليا») في 13 ديسمبر 1919 بحارة اليهود التابعة لحي «الجمرك» بمدينة الإسكندرية. لأمٍ مصرية تمتلك شقة حولتها إلى بنسيون لتعيش من إيراده.

أقامت الأم علاقة مع أحد سكان البنسيون، وحملت منه بابنتها «ليليان»، لكنه هرب منها وعاد إلى بلده إيطاليا، فانتقلت لأحضان نزيلٍ آخر من نزلاء بنسيونها استطاعت أن تقنعه بأن يتزوجها وأن ينسب ابنتها إليه وأن ينفق عليها.

عاشت «كاميليا» في أسوأ حالةٍ يمكن أن تعيشها فتاة. فيحكي أحد مخرجي السينما بأنه رآها في أحد الأسانسيرات قبل أن تشتهر وتغتني، و«الترقيع» واضح في ملابسها المهترئة. وتسببت حالة الفقر هذه بآلام في صدرها وسعال، حتى حذرها الأطباء، بأنها لو أهملت حالتها سيتحول المرض إلى سلٍ لا علاج له.

أما الفنانة التونسية «حبيبة مسيكة» في عام 1896 بحارة اليهود بمدينة « تستور» بالشمال الغربي لتونس التي تعتبر أحد معاقل الطائفة اليهودية هناك. أطلقت عليها أسرتها – التي كانت تعاني الفقر – اسم «مارجريت»، وألحقتها بمدرسة الطائفة الإسرائيلية بحارة «الحفصية»، لكنها لم تواصل تعليمها، وتركت الدراسة وعملت مع والدها في دكانه.

تعلقت «مارجريت» أكثر بأسرة أمها، فقد

كانـت خالتها «ليلى سـفيز» تجيد غنـاء الأدوار الكلاسـيكية، وتعـزف علـى البيانـو بمهـارة، فعلمتهـا العزف على البيانـو. ودعتها للعمل في كازينو صغير تمتلكه، كمـا أن خالها «خيّلو» كان ماهـراً في العـزف على آلـة الكمـان، فعلّم ابنة اختـه بعـض الأدوار وقدمهـا في الحفلات التي كان يقيمهـا في بيوت وجهـاء المدينة. واضطرت «مارجريـت» لحاجتهـا إلـى المـال أن تغنـي وترقص في الحانات، وأطلقت على نفسـها اسم «حبيبة».

الشهرة تطرق الأبواب:

في مدينة «تسـتور» تعرفت «حبيبة مسيكة» على شـاب يهـودي مثلها اسـمه «لياهـو ميموني». كان تاجـراً ثريـاً. فانفق عليها بسـخاء. وطلب منهـا أن تعيش معه في «تسـتور»، لكن شـهرتها كانـت قد سـبقتها إلـى مدينة تونـس، وجاءها المتعهـدون عارضين عليها مبالغ طائلة لتغني في محلاتهم المشـهورة هناك فسـافرت إلى تونس العاصمة.

وعلـى الجانب الآخر كانـت «كاميليا» قد تركت الإسـكندرية وسـافرت إلى القاهرة للبحث عن المـال والشـهرة. فتعرفـت على المخـرج «أحمد سـالم» في صيـف 1946 بفنـدق «وندسـور»، وكانـت تعلـم أنـه لا ينتهـي مـن قصـة غـرام؛ حتى يُسـرع للانتقـال إلى أخـري. فطلبت منه أن تشـاهد العـرض الخـاص لفيلمـه الجديد «الماضـي المجهـول». فأعجب بجمالهـا وقدمها للوسـط السـينمائي، فظهـرت عـام 1947 في فيلـم «القنـاع الأحمـر» مـع «فاتـن حمامة» و«بشـارة واكيـم»، من إخـراج «يوسـف وهبي». نجاحهـا في هـذا الفيلـم شـجع المخرجـين والمنتجـين علـى التعاقـد معهـا. فظهـرت في أفـلام كثيـرة منهـا «الـكل يغنـي» مـع «أميرة أميـر»، و«فتنة» مـع «يحيى شـاهين» و«محمود إسـماعيل»، و«خيال امرأة» مع «كمال الشناوي» و«إسـماعيل يـس»، ومثلـت مع «محمـد فوزي» فيلـم «الـروح والجسـد»، و«صاحبـة الملاليم» بالاشـتراك مع «شـادية». وفيلـم «أرواح هائمة» مع «أحمـد علام» و«لـولا صدقـي»، ومثلت مع «كمال الشـناوي» و«إسماعيل يس»، وكذلك فيلم «شـارع البهلوان»، أما آخر أفلامها المصرية فقد كان «آخـر كدبـة» مع «سـامية جمـال» و«فريد الأطـرش»، ومثلت أيضاً في فيلم أميركي اسـمه «الطريق إلى القاهرة»، وقدمت مسـرحية واحدة باسـم «خطـف مراتي».

بينمـا قدمت «حبيبة مسـيكة» أغـانٍ كثيرة منها «علـى بـاب دارك» و«الربيـع منـور» و«يا محلا الفسـحة»، و«هوّنـت راسـي» للسـهرة، و «مـن وسـط قلبي».

وأصبحت بعد ذلك مشـهورة على مستوى البلاد العربيـة كلهـا، وبعـض دول أوربا، فقد سـافرت كثيـراً إلـى فرنسـا، وكانـت شـديدة الإعجـاب بالممثلـة الشـهيرة «سـارة برنـار»، وشـاهدت الكثيـر مـن مسـرحياتها، وهـذا جعلها تسـعى لتكـون ممثلة مسـرحية مثلها. فتعرفـت بجورج أبيض، ومثلت بعض المسـرحيات معه. وقد أقبل الشـعب التونسـي عليها، فقد جمعت بين جمال الخلقـة وجمـال الصـوت وبراعـة الأداء. فغنت ورقصـت ومثلـت. وعملت مع فرقة «المسـتقبل» لمحمـود بورقيبـة المسـرحي التونسـي الكبير – شـقيق الرئيس التونسي الأسـبق – وكانت تغني باللهجـة التونسـية والشـامية. وغنـت «مالـي فتنـت بلحظك الفتان» من تأليـف «علي الجارم» وتلحـين «صبري النجريـدي»، وكانت مـن أوائل ما غنـت أم كلثوم.

وغنـت باللهجـة المصريـة «طلعـت يـا محلـى نورها»، و«زوروني كل سـنة مرة» لسـيد درويش. وغنـت أغنيـة سـبق أن غنتها المطربـة المصرية «سـمحة البغدادية».

وعـن شـهرتها في ذلـك الوقت يقول الموسـيقار الدكتـور «محمـد القـريفي» : لـم تكد تبلغ سـن العشـرين حتـى صار لها صيـت في دنيا الرقص والغنـاء، وأصبحـت تتحكـم في قلـوب المولعـين بحياة الليـل والفرجة.

عسكر الليل ومتاهة التخوين:

كونت «حبيبة سـميكة» ثروة كبيرة جـداً، أهلتها لكـي تكَوَّن حـرس خاص لها سـمي بـ» عسـكر الليـل» ليحموها من أعدائها ومنافسـيها.

كما اســتطاعت «كاميليا» أن تجمع خلال خمس ســنوات ثــروة لا تقــدر. فقــد أقامــت علاقات غراميــة مــع الكثيــر مــن الأغنيــاء والساســة، منهم «الســيد اللوزى»، صاحــب مصانع الحرير بالقاهرة، الذي قدمها لمجتمع الساسة والأثرياء، ثــم قدمها بوللى للملك فــاروق وقيل إن العلاقة بينهــا وبين الملك اســتمرت أربع ســنوات.

وتشترك «حبيبة ســميكة» مع «كاميليا» بأن كلا منهمــا كانتا على صلة بالمخابــرات الصهيونية. فقد ســاهمت «حبيبة» في المساعدة على ترحيل يهــود تونــس إلــى فلســطين، ومــدت «كاميليا» إســرائيل بالأســرار التي يبوح بها الملــك فاروق في انفرادهــا بــه، وقــت الحــرب بــين العــرب وإســرائيل عام 1948.

فقط .. حذاء الساتان الأخضر:

كانــت «كاميليــا» تعانــي مــن آلام في صدرهــا، فقــد عاودهــا مرضهــا القــديم الــذي لازمهــا أيــام الفقــر. بعــد أن أفرطت في شــرب الخمر والتدخــين. فاتصلت بأحــد الأطبــاء الكبار في سويســرا فحــدد لها موعدا للفحــص، لكنها لم تجد مكاناً في الطائرة، وشــعرت بالخيبة وكادت تعــود إلــى بيتها، لكــن الكاتــب الكبيــر «أنيس منصــور»، أضطر أن يؤجل ســفره بعد أن حجز تذكــرة الســفر؛ لمــرض أمــه المفاجــئ، فكانــت تذكرته مــن نصيــب «كاميليا».

انفجــرت الطائــرة التــي اســتقلتها «كاميليا» فــور إقلاعهــا مــن مطــار القاهــرة في طريقها إلى سويســرا بالقرب من الدلنجــات – بحيرة، واحترقت بــكل ما فيها، وتفحمت جثث الركاب، ولــم يتبــق مــن «كاميليــا» الجميلة ســوى حذاء ســاتان أخضر بلون الفستان الذي كانت ترتديه وقــت ركــوب الطائــرة. ماتــت ليليــان فيكتــور كوهــين (الاســم المكتوب على قبرهــا) في 31 أغســطس 1950.

أمــا الفنانــة التونســية «حبيبــة مســيكة» فقد عــادت مســاء يوم الاثنــين 20 فبرايــر 1930 مــن ســهرتها في بيــت العائلــة الإســرائيلية «لومبــروزو»، بعــد أن ودعت معجبيها. وصعدت إلى شــقتها، كانت وحدهــا في بيتها الكبير الذي يشــبه القصــر، ونامــت بعد وقــت قصير بينما كان حراســها (عســكر الليــل) بعيديــن عنها.

كان «الياهــو ميموني» اليهودي مثلها، وعشــيقها الســابق قــد هددها أكثر مــن مرة، لأنهــا تركته وعاشــرت غيــره رغــم كل مــا قدمــه إليهــا، لم تكن تخافه، وكانت تســتخف بتهديده. فحراسها قــادرون علــى قتلــه قبــل الوصــول إليهــا، لكنه اســتطاع التســلل إلى حجرتها، فقد قابلها كثيراً في هــذا البيت، ويعــرف كل مداخله. تركها حتى اســتغرقت في النــوم وألقي عليها جالــون بنزين وأضــرم النــار في جســدها مباشــرة، وعندمــا اســتيقظت وحاولــت الفــرار، دفعها إلــى النار، ثــم هرب وعــاد إلى الفندق الــذي يعيش فيه في العاصمــة تونس.

انتقلت «حبيبة ســميكة» إلى المستشفى وتعذبت وعانــت حتــى ماتــت يــوم الجمعــة 24 فبراير 1930 وخــرج الآلاف لوداعهــا، وتم دفنهــا في مقبــرة «بورجل».

تشابه الغموض:

لــلآن لــم يحســم الخــلاف في أســباب مــوت «كاميليــا»، فالبعــض يــرى أن الملــك فــاروق كان وراء الحــادث الغامض، بعــد أن تأكد أنها خانته وعــادت إلــى «أحمــد ســالم» غريمه، كمــا أنها خدعتــه ونقلــت مــا كان يحكيــه لهــا لمخابرات إســرائيل، وآخــرون – ومنهــم أنيــس منصور – يرون أن إســرائيل وراء قتلها لإخفاء سر علاقتها بهم.

وكذلــك الوضــع مع «حبيبــة مســيكة»، فهناك مــن يــرى أن قتلهــا كان أمــراً حتميــاً لعلاقتها الواضحة مــع المخابرات الصهيونية، وأن «الياهو ميمونــي» كان مجرد أداة للتنفيــذ. وآخرون يرون أن منافســاتها في تونــس أمثــال «فضيلة حتمي» و«شافية رشــدي»؛ كن وراء قتلها، بعد أن تفوقت عليهــن. وصارت أهم منهن جميعاً. فاســتأجرن «الياهــو ميمونــي» الــذي كان يعانــي مــن حالة احتياج مالي شــديدة ، بعد أن أنفق على «حبيبة» كل مــا يملك. فقــام بقتلها.

كفكف دموعك

محمد أحيد محمد/ موريتانيا

كفكف دموعك عازما ألّا ترى
قتلى على كل المدائن و القرى
و اعزف على الأوتار لحن تفاؤل
فالحزن يكبر فى الفؤاد تجبرا
غادر كهوف الخوف فهي مهينة
و اجعل لإسمك موضعا فوق الثرى
ماذا أقول وقد سئمت حياتنا
ساد الفساد بلادنا و تقهقرا
هاقد أتينا فارفعوا هاماتكم
حتى يعود الدهر غصنا أخضرا
يبقى السلام مخيّما ببلادنا
والحب في الأنداء جال مسيطرا
و اللّيل غادر و المحبة أقبلت
والصبحُ هلَّ محقّقا حلم الكرى
والارض في ثوب الوئام توشحت
والصبح أسفر و الظلام تقهقرا
إن العروبة أمنا نشتاقها
من نهدها قد ارضعتنا الكوثرا
ومقامها جنب الثريّا شامخ
و هي التى فى العز يعرفها الورى
تاريخنا قد ضاء يعلن واضحا
أنّ العروبة لا تباع فتشترى

قراءة في رواية للكاتب والشاعر أحمد بنميمون :

طرقات منتصف الليل

د. عبد اللطيف ابن شبتيت . المغرب

فاجأنا الشاعر والكاتب المغربي «أحمد بنميمون» بإصدار جديد ومتميز، يختلف عمّا ألفناه عنه، فبعد تجربة رائدة وخصبة في مجال الإبداع الشّعريّ، ومثلها في السّرد القصصيّ، أطلّ علينا هذه المرّة بإبداع روائيّ. وعلى شاكلة مجموعة من الشّعراء الّذين انتقلوا من الكتابة الشّعريّة إلى الكتابة السّرديّة في محاولة لتجريب شكل جديد نال القبول والإقبال من طرف القرّاء ودور النّشر، أمثال محمد الأشعري، وياسين عدنان، وحسن نجمي، وفاتحة مرشيد، ومحمد السرغيني، وكاتبنا صاحب رواية « طرقات منتصف الليل» الصادرة في طبعتها الأولى 2019، عن دار إديسيون بلوس، وقد أحببنا أن نتجوّل بين هذه الطّرقات لاستكشاف خباياها ومتاهاتها ومحاولة رصد دلالات هذه الأمكنة.

تجنيس النص :

بعد قراءتنا للرواية نجد صعوبة في تجنيس النص الذي تتقاطع فيه السيرة (سيرة أحمد الغريب) مع السيرة الذاتية للكاتب، دون أن ننسى السّيرة الرّوائية الّتي تستوعب الكلّ. وبين الفينة والأخرى يتدخّل السّارد ليضاعف الغموض، ويُخلق التّوتّر على

المستوى الأجناسي. هذا التّقاطع فرض التباساً في هويّة الضّمائر، فمن أجل مزيد من التّعتيم والتّحوّلات المفاجئة في مجرى السّرد ننتقل من ضمير المتكلّم (أنا كنت هناك ـ كان المطر يضايقني..)، إلى ضمير الغائب (ما أسعد لحظاته ـ كان الكتاب مدرسته...)، ثمّ إلى ضمير المخاطب (أنت في مدينة أرواح ـ كانت كل شقيقاتك...). ومن صيغة المفرد إلى صيغة الجمع (في وقت كانت نفوسنا الغضّة). وهكذا يُطلّ علينا السّارد معلنا عن تداخل الضّمائر باعتبارها وسائط تضاعف الالتباس وتكسّر رتابة السّرد وجاهزيّة التّلقّي، وتدفع القارئ إلى بذل جهد لإعادة تحبيك النّصّ من منظوره الخاص. وهذا التّداخل بين ضمائر السّرد يوافقه التباس في سياق التّلفّظ وتعدّد في المنظورات. إنّه إعلان عن انشطار في الذّات السّاردة التّي تقدّم لنا السّرد متشظّياً ومنشطراً ومتنوعاً في وحداته الحكائية.

قراءة في عنوان الرواية :

يدلّ العنوان «طرقات منتصف الليل» بغموضه والتباسه على صنعة روائية جديدة ومتفرّدة تؤسّس مسافة بينها وبين أفق انتظارنا. فإذا كان العنوان في الأعمال الرّوائية التّقليدية يميل إلى الوضوح ويزداد كلّما توغّلنا في قراءة العمل، فإنّ عنواناً مثل «طرقات منتصف الليل» يزداد غرابة والتباساً مع قراءة كلّ فصل من فصول الرّواية. فالسّارد يعمد إلى إقحام العنوان في صلب لعبة السّرد.

لا يستمدّ عنوان «طرقات منتصف الليل» غرابته من تركيبه اللّغويّ ودلالته الحَرْفية، بل تتولّد الغرابة والدّهشة من كونه عنواناً لعملٍ روائيٍّ. إنّ غموضه يستفزّ القارئَ ويثير في ذهنه تساؤلات لا يجد لها أجوبة إلاّ عند نهاية قراءة النّصّ. وعلى امتداد فصول الرّواية يتكرّر ذكر الطّرقات بأوصاف وحالات مختلفة. كما نجد أيضاً حضوراً بارزاً لليّل، فالعنوان يتركّب من عنصرين أساسين: عنصر المكان (طرقات)، وعنصر الزّمان (منتصف الليل). العنوان يختزل حالة المكان في الزّمان، وحالة الزّمان في المكان، « فالطّرقات في هذه الرّواية ممتدّة بلا حدود، وهي في منتصف اللّيل هادئة، وهي تزدحم بعد منتصف اللّيل بتدافع الأشباح تحت أستار ظلمات تراكم بعضها، وهي تمتدّ أمام السّارد نحو متاهات غير آمنة، .»

إنّ الحضور القويَّ للطّرقات في الرّواية يؤكّد أهمّية هذا العنصر في بناء الرّواية لما يمتاز به من غموض والتباس وتعدّد دلاليّ، فهي الحاضنة لمراحل الطّفولة لكلّ من السّارد ومن عايشه من باقي الأطفال، وعبرها تمرّ الأشباح والجنّ واللّصوص تحت جنح اللّيل، وفي النّهار تزدحم بالنّاس والأطفال، ويجلس على أرصفتها وناصيتها شيوخ وأصدقاء.

المتن الحكائي :

تتحدّث الرّواية عن محكيات غربة في سلسلة طولها سبعون عاماً، وكلّ لحظة من الماضي تمنح من عاشها حقّ إحيائها مصحوبة بالمشاعر الّتي جاشت في نفسه خلا لها .

بهذه العبارات الجميلة والعميقة في دلالاتها استهل الشّاعر والكاتب المغربي أحمد بنميمون روايته معلناً عن حفريات في الذّاكرة. فالنّصّ يسرد فيه صاحبه بعضاً من وقائع حياته، فهو نصّ استرجاعي في الزّمان لمرحلة الطّفولة وانتهاءً بمرحلة الشّيخوخة، بكثير من تفاصيلهما الدّقيقة. على أنّ هذا النّصّ لا يعلن عن نفسه كسّيرة ذاتية بواسطة ضمير المتكلّم وحده، فهناك أكثر من سارد في النّصّ، وإنّما نجد فيه

كثيـراً من تفاصيـل حياة كاتـب النّص تتعلّق بموطن نشـأته، إلى تفاصيـل غاية في الدّقة عـن سـيرورة الحيـاة في مرحلـة الطّفولـة الأولـى، ومراحـل تعليمه الدّراسـيّة وغيرها مـن التّفاصيل.

إنّ هـذا النّص الرّوائيّ أشـبه ما يكون بنصّ رثائيّ: رثاء السّـارد نفسَـه ورثاؤه لأصدقائه وأهلـه ومعارفه، حيث تغلب على النّص لغة الحـزن في التّعبيـر عـن مشـاعر الاغتراب، والإحسـاس بالظّلم وتأنيب الضّمير والمرارة والقّسـوة والعزلـة. كلّ هـذه الانفعـالات والمشـاعر يصوّرهـا الكاتـب بدقّـة متناهية وبلغـة شـعريّة فائقـة الجمـال والرّوعـة، اعتمدت بالأسـاس على الصّدق في التّعبير: « هـا أنـذا لا يفصلنـي عـن حافـة النهايـة إلا هـذا المقـدارَ مـن الوقت، الّـذي دقّ عن حصـره علـم أيّ رياضـيّ، وقـد ضقـتُ بما قطعـتُ، لأنّه لـم يوصلني إلاّ إلـى إدراك ألاّ أحـد أحبّنـي في كلّ ما عشـتُ: لا أحد أحبّ هـذا الرّجـل في عـن حـقّ، قدر مـن كرهوا حتّـى مجـرّد سـماعهم أنّنـي مـا زلـت لـم ألفـظ آخر أنفاسـي إلـى الآن....

في مقابـل هـذا، نجـد السّـارد في حال آخر يقـول: « هـا أنـذا الآن أدور في مسـاحة أربعـة أمتـاري الصّغيرة، مسـتحضراً صور أحبـاب وأصدقـاء ومعـارف ورفاق.....لكن مـا تعـرّض لـه بعضهم مـن مـوت خطفهم بغتة....فتغـرورق عينـاي بدمعـي، ويختنـق صدري بغصّات، فأشـرق بالبكاء.....». هي صـورة مفعمـة بالمشـاعر تلك الّتي رسـمها لنا السّـارد، وكأنّنا نعيـش معه لحظات وداعٍ واحتضـارٍ. ويسترسـل السّـارد فيمـا تبقّى مـن فصـول الرّوايـة معبراً عن الأحاسـيس والانفعالات نفسـها.

وبـين ثنايا هذه المشـاعر يعرج السّـارد على مجموعـة مـن المواضيـع، منهـا مـا يرتبط بـذات السّـارد، ومنهـا مـا هـو عـام يحمل طابعـاً اجتماعيـاً أو سياسـياً، ومنها:

ــ الحُلـم: الّـذي يعشـعش بداخـل الأطفال والصّبيـان، حلمهـم بالحيـاة الجميلـة الّتـي تخلـو من مُنَغِّصـاتٍ تكدِّر صفوهـم، فأحمد الغريـب (بطـل الروايـة) الّـذي كان طفـلاً « نشـأ علـى ضفّـة نهـر صغيـر، يحلـم بموج كبيـر يَقْـوى علـى الذّهـاب بـه إلـى البعيد البعيـد. ثـمّ نجـد في الرّواية نفوسـاً يدفعها عنفـوان مرحلتهـم إلى السّـفر علـى أجنحة أحـلام يقظـة «. لكـنّ البحـر عـادة مـا كان يُلقـي إلينا بالجثث، ولا يسـكت عـن آثار أيٍّ غرقـى غربـاء عنه.

سنوات الجمر والرّصاص:

هـذا أحمـد الغريـب بعدمـا كان يغيظ زمن الجمـر والرّصـاص مـن يشـكّك في مسـار العاملين في السّياسـة، خاصّة وأنّ في السّاحة أحزابـاً ليـس مـن السّـهل وَصْـم رجالاتها الّذيـن منهم من اختـار الشّـهادة، ومنهم من أُلقـي بـه إلى غياهـب السّـجون ومـا بدّلوا تبديـلا. وكان السّـارد يغضب لقـول القائلين (كلّ عبـاد عبـد الواحـد واحـد)، ليكتشـف في النّهايـة صحّـة القولـة بعدمـا أفـرزت السّـاحة انتهازيـين أو وصوليـين، ولم تسـلم الأحـزاب السّياسـية ممّـا عرفتـه حـركات دينيّة وسياسـيّة وفكريّة عبـر التّاريخ وجّهت العقيـدة بحسـب مصالحهـا، لذلك سـيقرّر أحمـد الغريب عدم التّصويـت في ذلك اليّوم من سـنوات السّـبعينات إلاّ لمن يمنحه كأسـاً تفيـض بالمشـروب الأصفـر الرّائـق ليتحدّى كلّ مـن يشـربون خفيـة مـن كـؤوس أو دِنان تتضـح منهـا دمـاء شـعوب وطبقـاتٍ. وقـد عنـى ب «دِنانـاً تفيض بأحمر قـانٍ أو أصفر فاقـعٍ»، ليـس خمـرةً أو بيـرةً، بـلْ دمٌ، وإن كان لـه مظهـر عـرق يتفصّـدُ مـن جبين من يكدحـون بـلا توقـف فلا يسـتريحون.

ويسـتمرّ السّـارد في نقـد الواقع السّياسـيّ كلّمـا أتيحـت لـه الفرصـة، فيتحـدّث عـن

أجـواء سـنوات الجمـر والرّصـاص، حيـث لـم يكـن الاحتجـاج ممكنـاً، أو أيّ نـوع مـن حرّيـات التّعبيـر، ثـمّ عـن اللّصـوص والسّماسـرة الّذيـن يتاجـرون في كلّ شـيء، ويقيمون لكلّ شـيء سـوقاً، ينقلون الجبلَ في حقائـب وحتّـى الحيـاة.

ومـن القضايـا الاجتماعيّـة الّتـي أثارتهـا روايـة «طرقات منتصف اللّيـل» جناية الآباء في حـقّ أبنائهم، فقد كانـوا يفرضون عليهم مهنـة اختاروهـا لهـم، كانـت تقتـل بـراءة طفولتهـم، ويحرمونهـم، بـل يحاربـون أن يرسـلَ الأبنـاء إلـى التّعليم.

ولا تخلـو الرّوايـة مـن اسـتعراض أوهـام وأسـاطير كان الأهـل يلقّونهـا لأبنائهم مثل موضوعـات الجنّ، ومرض الصّرع، وأسـباب جنون الشّـاب حمـدون.....

بنية السّرد :

قسّـم الكاتـب أحمـد بنميمـون روايتـه إلى واحـد وأربعـين فصـلاً مرقّمـاً، تفاوتـت فيمـا بينهـا من حيـث الطّول، غيـر أنّ هذا التّقسـيم لا يتأسّـس علـى حبكـة تقليديّـة تقضي بوجـود حكاية تنمو وتتطـوّر بآمتداد الرّوايـة. بـل إنّ هذه الفصـول بمثابة دوائر تتقاطـع وتتمايـز في نفـس الآن، إنّهـا تبدو متشـظّية إلـى شـذرات تفكّك الحَبكـة الّتي تحوّلـت إلـى حَبـكات صغيـرة محكومـة بالتّشـعّب والتّكـرار، حيـث تمّحـي الحدود بـين الأزمنـة، وتلتبس سـيرة الذّات بسـيرة المـكان، وتصبح البداية نهايـةً والنّهاية بدايةً وكأنّنـا أمـام شـكل دائري.

تبـدأ الرّوايـة ب « بـل لـم يعد أحدٌ يسـمع هتـاف رأس أحمدَ الغريب الّـذي كان ينتهي إلـى الأسـمَاع واهيـاً، يجاهـد أن يرتفعَ من مـكان خارج الأسـوار أو داخلهـا، غير بعيدٍ، فالأبـوابُ لـم تعد تُقفـل في وجـه أيّ طارق مـن اللّيـل أو أيّ وافـدٍ في النّهـار، أو مـن يمكـث قريبـاً منها غيـر بعيد « .

وبنفس العبارة تنتهي الرّواية.

ويمكـن تبيّن ثلاثة مسـتويات للسّـرد تتفاعل فيمـا بينها لتخلق نسـيجاً متنـوّع الايقاعات والمنظورات: مسـتوى سـردي واقعي، مستوى شـاعري، مسـتوى عجائبي وأسطوري.

ــ فالمسـتوى الواقعـي: يعرض أحداثـاً عامّة وخاصّـة تركّـز علـى موضوعـات ووقائع لها صلـة باليومـي والتاريخـي، وكأنّـه يوهمنـا بوجـود شـيء تحكيـه الرّوايـة لـه مرجـع واقعـي: (حكاية مقتل شـابّ، صاحـب دكّان الأكلـة الخفيفـة بحـيّ المدقّـة ـ حكاية جنون الشّـاب حمدون ـ الحديث عن مراحل دراسة السّـارد في عهد الاسـتعمار). هذه الحكايات والأحداث كلّها اسـتقاها الكاتـب من الواقع.

ــ ويعبّـر المسـتوى الثّانـي بصـور متداخلـة ومسترسـلة، تتّسـم بدرجة عالية من الكثافة والغمـوض، وكأنّها نقيـض للسّـرد الواقعيّ، فالسّـرد الشّـاعري يُمثّـل ذِروة توتّـر اللّغـة الرّوائيـة الّتـي تتوسّـل بمختلـف الصّـور لتحتضن صوت الذّاتية المشـدودة إلى تجربة الأقاصـي، أقاصـي الحُلم والمعرفة والعشـق الّتـي تَندُّ عن التّشـخيص والوصف . وهكذا يُحـدثُ مؤلّفنـا بهـذا المسـتوى (المسـتوى الشّـاعري) تصدُّعـاً في الكتابـة تتحـوّل معه متابعـة الحـدث جريـاً وراء الوهـم، يقـول الكاتب.

« وكان يضحك من تشـبثهم الوقتَ بالسّيف، فـلا يعتصمُ بالسّـيف إلا عـدوّ أو جبانٌ، كان ذلـك حين بيـاضٍ، وقبـل أن تتسـارعَ الألوانُ إلى صبـغ وجه حياته، فيشـتدُّ حنينه إلى ما كانـت عليَه مـن نقاءٍ، أيام طُهـره وبراءاته.

ما زال لم ينسَ ممّا مضى أو فات
عن عابرٍ محمومْ
كانت له كلماتْ:
سارتْ مع النسيان أوهاماً
صارتْ مع الأيام كالأحلام
شدّت بفتنتها

بلبٌ مجنونٍ

ــ وأما المستوى السّردي الثالث، فيخترق الأوّل والثّاني ويلوّنهما بوقائع عجيبة هاجرت إلى النّصّ من حقول دينيّة وتاريخيّة وغيرها. فيضعنا الأسطوريّ والعجيب في بوتقة اللامرئي الّذي يتجاوز قدراتنا الاعتيادية، وحدود تفسيرنا العقلي والمنطقي للأشياء والظّواهر. نجد هذا حاضرا بارزاً في «طرقات منتصف الليل»، حيث الجنّ والعفاريت تسكن أماكن عدّة، وتحوم حول أسوار المدينة، والفتى سليمان الّذي سكنه جنّ في تفسير لمرض الصّرع ــ وكان الكبار يحذّرون الصّغار من السّير في الأماكن المظلمة أو الخلاء الفسيح، فقد تدوس بقدميك من حيث لا ترى أو تعلم، رأس طفل جنيّ، أو تقع بين زوجين من الجنّ، وهما في اتّصال حميم، فيصيبك منهم انتقام عظيم...».

ويتساءل السّارد في استغراب كيف أنّ الكبار إذا تكلّموا عن الملائكة مثلا لم يكونوا يُطمعوننا في جعلنا نراهم أو نطمع بلقائهم، حتّى ولو كنّا نمرّ بجوار أماكن مقدّسة، أو نمضي إلى داخل مساجد ذات اعتبار، أو نعبر وسط أضرحة أولياء صالحين، خاشعين في ابتهال بادٍ وتضرّع في دعاء صادق».

ثمّ يتجلّى هذا المستوى أيضاً في لحظة التّعرّف على « أحمد رأس الغريب « من يكون؟ هو ابن المدينة المبارك الرّشيد، الّذي اختار ألاّ يسكت وألاّ يخفي ما شاهده في حضرة الحقّ. فلمّا خرج في النّاس ذات زمن، كان يبهرهم منه سحرُ رُؤاهُ الّتي كان إذا بسطها للنّاس استضاءوا بهديها، ممّا أدّى بالحاكم إلى أن يقضيَ بقطع رأسه وتشتيت أشلائه، فلم يعد ممّا صُلب من جسمه، بعد أن قُطّع من خلاف، إلاّ رأسه الّذي وُضع فوق الصّخرة الكبرى الّتي تتوسّط مقبرة باب السّوق، وكان على أبواب المدينة حرّاس كثيرون إذا جنّ اللّيل أسرعوا إلى إغلاق الأبواب، فينادي هاتف: هل بقيَ من أحدٍ؟ فلا يأتيه إلاّ صوت من أعلى الصّخرة يقول: لم يبق إلاّ رأس أحمد الغريب.

أمام هذا التّداخل الأجناسيّ، والتباس الضّمائر الّتي تتولّى عملية السّرد وإتلاف الحَبكة وتشظّيها، وتَراكُب مستويات السّرد، وغيرها من المظاهر الّتي تميّز بنية السّرد في هذه الرّواية...لن يشذَّ مستوى المكان عن غيره من المستويات الّتي أسهمت في تشكيل رواية أحمد بنميمون وبناء عالمها الفنيّ، فالمكان في «طرقات منتصف اللّيل» يشكّل قوّة فاعلة تتولّى عملية السّرد وتصدر عنه سلسلة من الأفعال، فطرقات المدينة تختلف أحوالها بين اللّيل والنّهار، بين الماضي والحاضر: في الماضي كانت مخوفة لا أمن فيها ولا أمان، تُغلق الأبواب عند اللّيل، ولا فتيات في الطّرقات إلاّ في أوقات استقبال التّلاميذ أو لحظات خروج المدارس، والبشر في الشّوارع قليلون.....، واليوم أصبحنا نرى الزّمن يتجاوز منتصف اللّيل، فلا طرقات تخلو اليوم، بل إنّها تزدحم في اللّيل، ولم يعد أحد ينادي من فوق الأسوار أو تحتها متسائلا عمّن غاب من الأبناء أو تأخّر إيابُهُ « فيا للمفارقة!!! فإنّ للنّهار على طرقاتنا وقفات إذا استجاب لها الرّائي أخذته الجنيّات اللّواتي لم تعدن تحتجن إلى حجب كما كُنَّ في الماضي: الجنيّات اليوم آسرات الجمال، يا ويلاه، فليرضن عنّا نحن الشّيوخ، وليكن الله في عون الشّباب أمام انديا حات الفتنة.

إنّ الأمكنة في هذه الرّواية بكلّ ما تختزنه من طاقة انفعالية، وتُسهم في ذلك الغموض والالتباس وطمس المعنى الأحاديّ وغيرها من الخصائص، لتبني شكلاً روائيّاً حديثاً

موسـوماً بالشّـذريّة والكثافـة. وتعـدّ هذه الطّريقـة في التّعامـل مـع المـكان عمليّـة إبداعيّـة واعيـة ومقصـودة عنـد أحمـد بنميمـون. ففـي إطار كشـف التّقنيّـة نعثر علـى توضيحات عديـدة أهمهـا: «...لكنّي سـجينَ طوعـي في أمتاري الأربعـة في هذا الوطـن الكبيـر، يحلـو لـي أن أتأكّـد ممّـا يمـلأ نفـوس النّاس مـن حولي مـن كبرياء، كمـا أودّ، أنـا الّـذي أُخلـص الوُدَّ لـكلّ من عرفـه منهـم، أن أعتـرف أمامهـم بمـا أُصبـتُ به مـن عمـى يحجب عنّـي أضواء هـذا العالـم الكبيـر، فقد ملأنـي الضّلال حقّـاً، بـل والإصرار علـى ألاّ أرى وألاّ أُرى، فاطلـب الصّفـح منهـم أجمعـين، فخطـاي ترفض السّـير، وقدماي كسيحتان، ولا إرادة عنـدي وقـد أثقلتني القيود عـن أيّة حركة، نحـو أيّ شـيء، وعلـى أيّة طريـق، فأنا إذا وقفـتُ على السّـطح لا أسـتطيع الطّيران، وإذا دُفعـتُ إلـى الخـارج مـن عتبـة البيت انسـدّت في وجهي الممـرّات والمتاهات، ولن أرسـل أيَّ نداء اسـتغاثة....».

إنّ عنصـر المكان في هذه الرّواية ليس مجرّد فضاء يحضـن أحداث الرّواية ومَشـاهِدها، وتتحرّك في إطاره الشّـخوص، حيث يحرص الرّوائيّ على رسـمه، وإبـراز معالمه وحدوده، والإيهـام بواقعيتـه، بـل صـار طرفـاً فاعلاً في المشـكلات السّـرديّة، بحيـث يسـتحيل إلـى كائـن. وفي روايتنـا هذه أضحـى المكان نتاجـاً لتشـكيل لغـويّ، ولعلاقـات النّـصّ الدّاخليّـة، حيـث تعامـل معه الكاتـب بوعيّ فنّـيّ جديـد، مسـتلهماً في بنائـه تقنيـات التّشـخيص والأسـطرة، يقـول المؤلـف: « وسـأدعو موتـايَ جهـاراً إلـى الانتفاض من أجداثهـم، ممتلئـاً رعبـاً ممّا سـيملأُني من تعجّـب، فمعظـم موتـايَ كان يحمـل اسـم أحمـدٍ ومحمّدٍ، مـن ظلام ثقيل يعـمّ قطعة أرض تحتضنهـم، فأعجبُ حتّـى وهي تحت ظـلال أشـجار بـأوراقَ تنتسـبُ إلـى ربيـع آخـرِ أعوام هـذه الفانيـة، فأصيـح: يا آخر الموتـى عجّلـوا بإغلاق أيّـة فجوةٍ وأيّـةِ ثغرة في جـدار هذا العالم، حتّى لا يتسـرّب شـيء مـن ظلمـات دنيانـا الّتـي تركتَ، ولتفيضوا علـى ليـل مغانينـا مـن بعـض مصابيحكـم الّتي لـن تنطفئَ، علّنا نُبصـر لخُطانا طريقاً بمنتصـف هذا اللّيـل إلى حيـثُ لا حربَ ولا اقتتـالَ ولا تفجيـرَ يعصـفُ بحيـاة أبرياءَ في كلّ مكان».

إنّ هـذا التّشـكيل الجديـد للمـكان والثّـورة على الطّـرق الرّوائيـة التّقليديّـة في التّعامل معـه، نتـج عنهـا ظهـور خصائـص مميّـزة، كالالتبـاس والغمـوض والتّعـدّد الدّلالـيّ أحيانـاً. وقد اسـتطاع الكاتب أحمد بنميمون إطـلاق العنـان لخيالـه الإبداعـي مـن أجل التّفـنّن والتّفـرّد في تشـكيل المـكان في نصّه الإبداعـيّ هـذا، مسـتفيداً من كونه شـاعراً «ظلّـت تعلـو منازلُنـا حتّى كان هجـومُ القبح والتّشـوّه اللّذيـن أضعفا من روابـطٍ تجمعنا بالمـكان، وإن كان مـا يربطنـا بـه يرقـى إلى مسـتوى الغريزة....فهل يعرفُ الجمال عودةً إلـى ربوعنـا بعـد هجـرةٍ، ومـدّاً بعـد جزرٍ، وانفتاحـاً بعـد انقباض؟»

ختامـاً يمكن القول أنّ أحمـد بنميمون يعتبر مـن أبـرز الكتّـاب المغاربـة الّذيـن تفنّنوا في كتاباتهم سواء الشّـعريّة أو السّرديّة، والقارئ لأعماله يصـاب بالتّعب والذّهول وهو يصارع مـن أجـل فكّ وفهـم مـا تكاثف وخفـيَ. مع أحمـد بنميمون نُبحر في نصّ تبنيه مسـافات ثقافيـة متباينـة، وتشـتغل داخله آليـات بناء لـم نألفهـا، وبذلـك تصبـح القـراءة مغامرة محفوفـة بالمخاطـر، نحتاج قبـل دخولها إلى الاسـتعداد المعرفيّ والمنهجـيّ لخوض معارك يعلنهـا الكاتـب الضّمنـي علينـا مـن داخـل النّـصّ، كما هـو الحال في طرقـات منتصف اللّيل.

جنة النص

انتقاء :
سواسي الشريف

انطباعاتي الخاطئة..
لملمت نفسها
على
شكل خيبات..
أحاول عدّها كل ليلةٍ
ولا أنام.

علي الغزالي _ ليبيا

يعودُ مترنحاً داخل رئتي
الدخانُ القادم من وجهِ المرآة .
وأنا أتصفح ملامحي ، كُل الذين
شاهدتهم غرباء .

أحمد وادي _ العراق

أمامَ المرآةِ و انا انشّفُ وجهي ،
ابتلعَتِ المنشفةُ حزني .
شرعْتُ في التدربِ على التبسم
و رحْتُ ألتقطُ صورةً تلو الأخرى
لإبتسامتي .

صرتُ أفكرُ بالتوقفِ عنِ كتابةِ الشعرِ
و الأدبِ
و سماعِ الموسيقى
و كيفَ أنَّ كلَّ حياتي ستتغيرُ .
خرجْتُ منَ الحمامِ مختالاً مثلَ
طاووسٍ .
أحدُهُم كانَ يديرُ الراديو
صوتُ المذيعِ فيه
أصابني بداورٍ في رأسي ،
كادَتْ كلُّ العروقِ في راسي تنفجرُ ،
أحسسْتُ بتنملٍ في كلِّ جسدي ،
تجمدَتْ حواسي ،
ضيقٌ شديدٌ سيطرَ عليَّ ،
بدأْتُ اذوبُ كقطعةِ جليد .
صوتُ المذيعِ
كانَ يعلو كصافرةِ إنذارٍ :
في الحربِ السوريةِ اليوم...
في الحربِ اليمنيةِ اليوم ...
في العراقِ اليوم ...

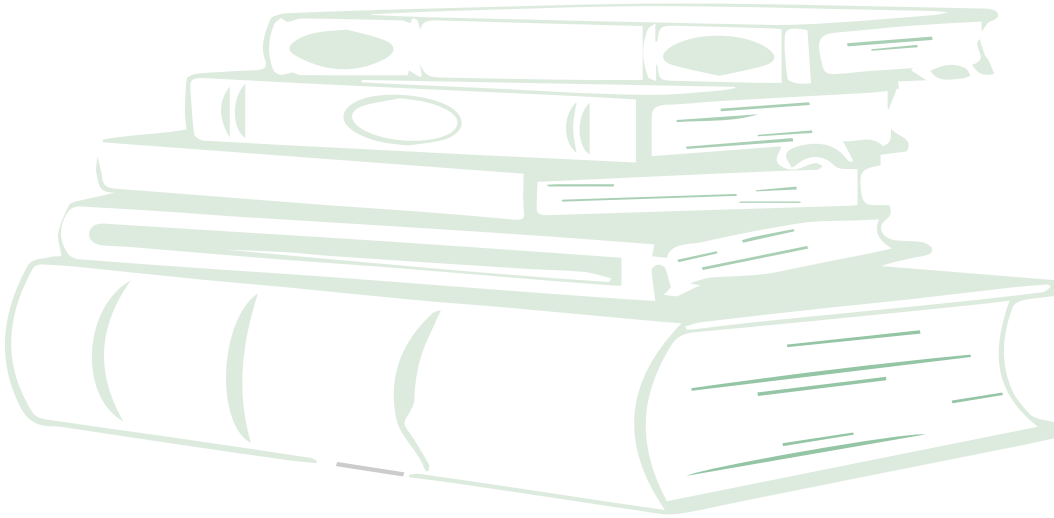

في ليبيا اليوم ...
في ..... .
أسرعْتُ و أمسكْتُ المنشفةَ
غطيتُ بها الراديو
ظناً مني أنَّها ستبتعلُ الحروبَ كما
ابتلعَتْ حزني
لكنَّ الراديو لمْ يتوقفْ و كانَ صوتُ
المذيع يعلو و يعلو .
أرجعْتُ المنشفةَ ، علقْتُها في مكانِها ،
خرجْتُ و كأني في خصامٍ معَ الكونِ .
عدْتُ للداخلِ ؛
أمسكْتُ المنشفةَ قَطَّعْتُها بأسناني
و خرجْتُ .

زكريا الشيخ أحمد _ سوريا

في لحظة ما
تشعر انك وحيدا
وانك دمعة في عين يتيم
شاهدت فساد هذا العالم
المغلف بالوهم
بعد أن تسلل الالم لروحك
ليدغدغ خاصرة الوجع
بنكسة البكاء
وان سيل الحسرات التي
اتجهت نحوك ماهي الا
خيبة مكبلة برزية جديدة
حيث تلوكك الايام بانياب
الكآبة
فتصبح مجبرا على تشييع
جنازة الفرح
لتمارس طقوس اليأس
وتحل احجياتة
حتى تصبح جثة هامدة
تحوم عليك اسرابا من
غربان الحزن وتنهش
آخر ضحكة رسمت
على شفاهك .

حيدر تورام _ العراق

بين الحداء والخبب ..

الإبل والخيل .. والموسيقى

صلاح عبد الستار الشهاوي. مصر

الباحث عن نشأة الغناء العربي يجد أن علاقة المجتمعات العربية بالغناء تعود إلى زمن بعيد. فقد كان الشعر يحتل منزلة كبري في نفس العربي، والشاعر بطبعه موسيقي يعتمد الإيقاع في نظم الشعر، وقد استخدم الشعراء آلة تسمى القضيب، وهى من عصا يضرب بها الأرض لضبط وزن البحر الشعري الذي سينظم عليه قصيدته.

كما اهتم الشاعر أيضاً بالإلقاء الشعري، تماما كاهتمامه باختيار ألفاظ قصيدته، فكانت طريقة الإلقاء وجمالية الصوت يلعبان دوراً أساسياً في شهرة القصيدة وصاحبها، لهذا وجدنا بعض الشعراء الذين لم تتوافر لهم سبل الإلقاء الجيد، يسندون مهمة إلقاء قصائدهم لغيرهم من الشعراء حتى وإن كانوا أقل مرتبة منهم، وكان من الشعراء من يجمع بين النظم الجيد والإلقاء الجيد، ويقال إن «عدي بن ربيعة» قد لقّب بالمهلهل لحسن صوته، ويمكننا اعتبار هذا – بقليلٍ من التجاوز- غناء وموسيقي ذالك العصر، ومن ثم ظهر سريعاً، الحداء والنصب. وانتقل الغناء من الترنيم البسيط الخاضع لتصرف المغني وكفاءته التي تتوقف على نبرة صوته وترجيعه وانتقالاته، والمشاعر التي تجعل الصوت يخرج مستقيماً أو مرتجفاً. فغنوا الحداء في حداء إبلهم، وخلواتهم، ورجعوا الأصوات وترنموا وكانوا يسمون الترنيم إذا كان بالشعر غناء. ولكن رغم هذا التطور على مستوى الفهم والتذوق، فإن الغناء العربي في ذالك العصر ظل في أغلبه إلى ما قبل الإسلام أسيراً لتأثير إيقاعية التفاعل العروضية، لكن مع مرور الوقت سرعان ما بدأت تتشكل معالم غناء جديد يدعى الغناء المُتقن.

وأمهات كتب الأدب والتاريخ تؤكد أصالة فن الغناء عند العرب كمروج الذهب لأبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت: 346 هـ/957 م)، والعمدة لابن رشيق القيرواني (ت: 463هـ/1063م)، ومقدمة ابن خلدون (ت: 808هـ/1406م). فقد نقل المسعودي عن ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة مؤرخ وجغرافي اشتهر بكتابه الجغرافي كتاب المسالك والممالك ت:300هـ/912م) أن الحداء (صوت الغناء للإبل، رجلٌ حاد، وحداء هو الذي يحدو الإبل، أي يغني لها لتتبعه. وأصل الحداء أن تدعو الإبل فتقول: داه.. -بالتسكين- أو تقول: دهده... دهده - بالضم- لتجيء إليك أو إلى أولادها)، في العرب كان قبل الغناء وأنه أول السماع والترجيع فيهم، ثمَّ ما لبث أن اشتق الغناء منه.

وذكر المسعودي أن غناء العرب كان النصب، وأنه ينقسم إلى ثلاثة أجناس: الركباني (رُكبان: السوابق والأوائل. ركِبَ الدابة يركب ركوباً: علا عليها، وكلُّ ما علي فقد

ركِبَ وارْتُكِبَ)، والسناد الثقيل (السِّنَادُ في القافية: اختلافُ ما يراعى قبل الرويِّ من الحركات وحروف المَدّ، وهو من عيوب الشِّعر، الثَّقيل (في الموسيقى): ضَرْبٌ الثَّقيلَ من النَّغَم) والهزج الخفيف (الهزج: صوت الإنسان فيه بحة، صوت السهم المنزلج من القوس، صوت القارئ المتطرّب في القراءة، صوت المغني. الخَفِيفُ، أَحدُ بحور الشعر الكثيرة الشيوع قديمًا وحديثًا ويؤَسَّس الشطر منه على النحو التالي: فاعلاتُن مُستفع لُنْ فاعلاتُنْ)

أما ابن رشيق فقد خالف المسعودي في الرأي عندما قال: إن النصب (النَّصْبُ: نوعٌ من الغناءِ بسيط رقيق) كان غناء الركباني والفتيان، ومنه كان أصل الحداء كله.

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته ما يفهم منه أن الحداء والنصب نوع واحد، فقال: «وأما العرب فكان لهم أولاً فن الشعر، ثمَّ تغنى الحداة منهم في حداء إبلهم، والفتيان في فضاء خلواتهم فرجعوا الأصوات وترنموا، وكانوا يسمون الترنم إذا كان بالشعر غناء.

وقد أشار ابن رشيق إلى أول من رجع الحداء من الرجال فقال: «إن أول من أخذ في ترجيعه... مضر بن نزار، فإنه سقط عن جَمَل فانكسرت يده، فحملوه، وهو يقول: وايداه، وايداه، وكان أحسن خلق الله جرماً وصوتاً، فأصغت الإبل إليه. وجَدَّت في السير، فجعلت العرب مثالاً لقوله: «هايداً هايداً يحدون به الإبل».

- الحداء أول الغناء العربي :

الحداء غناء وطرب للراعي والإبل، والحداء بكسر الحاء أو ضمها أو الحدو تعرفه المعاجم اللغوية بأنه سوق الإبل والغناء لها، وواحدته «أحدية» أو «أحدوة»، تقول العرب «فلان حداء قراقريا» أي جهوري الصوت شديد النبرات يقدم إبله ويحدوها. وحداء الإبل من بحر الرجز - بفتح الراء والجيم-، سمي رجزاً نسبة إلى رجز البعير، فعندما يكون مريضاً يتقارب خطوه ويضطرب فيسمى مشيه في هذه الحالة رجزاً.

والحداء: فن شعري غنائي معروف في سائر أنحاء البوادي العربية لا يكاد يختلف في المضمون والأداء، وإن كان يختلف في مخارج الحروف ومعاني الكلمات والألحان من منطقة أو قبيلة من قبائل البدو إلى أخرى، ويتكون من بيت واحد من الشعر (الغنائي) بقافية واحدة لكلا الشطرين، وكل بيت يحمل معنى مستقلاً عن البيت الذي يليه في توافق إبداعي وصوتي يؤديه الحادي بصوت مرتفع، ويمنحه حسب الظرف والحالة، مداً وتطويلاً لبعض كلماته وقوافيه.

وذكر الإخباريون والرواة، أن الحداء كان عند العرب قبل الغناء، انحدر إليهم وتوارثوه من جدهم الأكبر مضر بن نزال بن معد بن عدنان بن إد، وأصله كما يروون أن مضر قد سقط عن بعيره في إحدى أسفاره فانكسرت يده فاخذ يتوجع: قائلاً: يا يداه يا يداه (أو) وايداه وايداه، وكان من أحسن الناس صوتاً فتجمعت الإبل حوله وطاب لها السير معه فاتخذه العرب الحداء برجز الشعر، وجعلوا كلامه أول الحداء، فقال حاديهم: (يا يداه يا يداه يا هاديا يا هاديا)، فكان الحداء أول السماع والترجيع عند العرب ثم اشتق منه الغناء.

ولقد حفلت البوادي العربية بحادي العيس (الجمّال) لأن له قدرة على اقتياد الجمال عن طريق أغانٍ يغنيها البداعون على ظهورها، أو في مواسم خاصة كسباقات الهجن أو الرحلات البعيدة أو في مواسم جني الثمار (كما أصبح حادي النوق، رسول

غرام، يبلغ تحايا العاشقين لربات الخدور على هوادجهن، وهي تتمايل في سيرها، كما فعل الكميت بن زيد الأسدي (شاعر أموي) في غزليته المشهورة:

يا حادي العيس عرج كي أودعهم يا حادي العيس في ترحالك الأجل

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم وحملوها وسارت في الدجى الإبل

وأرسلت من خلال الشق ناظرها ترنو إلي ودمع العين ينهمل

إني على العهد لم انكر مودتكم ياليت شعري بطول البعد ما فعلوا.

ومما حكي عن تأثير الغناء على الإبل أن أميراً مر بشيخ من الأعراب فرأى عبداً مقيداً بالحديد فقال الأمير: ما الذي جناه هذا العبد؟ فقال الشيخ اتبعني ثم أخذه إلى مراح الإبل فرآها منهكة لا تستطيع حراكاً فقال للعبد: غن لها فغنى فنهضت لساعتها متحمسة كأن لم يكن بها شيء، ثم أكمل الشيخ: هذا العبد أتى بها من مكان بعيد وهي تحمل أثقالاً وأخذ يغني لها حتى رأيناها قد ضاعفت سيرها فصارت إلى هذا الحال.

* الخبب الذي يشبه إيقاع حوافر الخيل، أول ألحان الموسيقي العربية

الموسيقي هي الإيقاع الذي تقف عليه الحياة، كل مخلوق يتميز بصوت شجي يحمل إيقاعاً خاصاً به. لذلك كان بحث الإنسان عن آلات صناعية يمكن لها أن توحد هذه الأصوات التي تغتني بها الطبيعة لتقديم هذا السجل الموسوق حتى يكون في متناول يد الإنسان في أي وقت شاء، وأي مكان يتواجد فيه، ولقد شكلت الطبيعة ملامح الموسيقي الأولى من أصوات الأشجار وخرير الماء وزقزقات العصافير وغيرها رافقت الإنسان في حله وترحاله كإيقاعات غامضة لها سطوة السحر.

وعندما اكتشف العربي في البيئة الصحراوية أن الغناء يبدد وحشة الليل، واكتشف في أسفاره أن الجمال التي هي «سفن الصحراء» أيضاً تطرب إلى الحداء، وكأن الخلاء والتأمل في النجوم يجعلانهم يربطون بين نظام إيقاعي يحسّونه من حولهم. وكان لابد للحداء أن يتألف من إيقاعات وكلمات بسيطة تقترن بالحركة. من هنا، ولد عروض الشعر الذي ينبني على الموسيقي، ومن هنا أيضاً ظهر سحر «الخبب» ((الخبب: مشي الجواد.)) .. وهي نوع من أنواع المشية للحصان، وتقوم على ضربتين، يضع فيها الجواد زوج القوائم القطرية على الأرض في وقت واحد، وبعد لحظة من التوقف يقفز على القوائم القطرية الأخرى: «قائمة خلفية يسرى+ قائمة أمامية يمنى، ثم قائمة خلفية يمنى + قائمة أمامية يسرى»، وتسمع فقط صوت ضربتين على الأرض، الأولى عندما تلمس حوافر القائمة الخلفية اليسرى، والقائمة الأمامية اليمنى الأرض، والثانية عندما يلمس الزوج القطري المعاكس الأرض بعد استراحة قصيرة.

يُعتبر بحر الخببُ أشهرَ الأوزان العربية المستدركة على إيقاعات الشعر العربي وأعذبها، وذلك على الرغم من خروجِه عليها، وشذوذِه عن جميع قوانينها. حيث استقبله الكثير من الشعراء- قدماء ومحدثين- بالرضي والقبول، وجذبهم إيقاعه الجميل، فكتبوا عليه أرقّ القصائد وأجملها. فلبحر الخبب إيقاع راقص، في حركته خفة وسرعة يدل عليها اسمه، الذي أطلق عليه تشبيها له بجري الخيل. وقد أشار أبو الحسن العروضي (ت: 342

هـ) إلى عذوبته في السمع، وصحّته في الذوق، وأنّ الشعراء قد أكثرت من ركوب هذا الوزن. كما ازداد اهتمام المحدثين بهذا البحر حتى أصبح من أكثر الأوزان انتشاراً في الشعر الجديد.

وفيه يقول المعرّي: «وقد تأمّلت عدو الخيل، فوجدت هذا الوزن يشابه التقْريب الأعلى والتقريب الأدنى، على حسب عجلة المنشد وتراسله، وهما تقريبان: أحدهما الثعلبيّة، والآخر هو الذي يسمى الإرْخاء، وكلاهما إذا سمعْتَهُ أدّى إلى سمعِكَ هذا الوزنَ بعيْنِه، وذلك أنّ الفرس يضرب بحوافره الأرض ثلاث ضربات متواليات ثم يثِبُ، فيكون ضرب الأرض موازياً لثلاثة أحرف متحركات، ويكونُ وثَبه موازياً للسكون».

ولا يعلم بالضبط أول من أطلق على هذا الوزن اسم الخبب، ولكن ربما كان ابن رشيق (ت: 463هـ) أول عروضي معروفٍ سجّل هذا الاسم، بقوله عن المتدارك» وهو الذي يُسمّيه الناس اليوم الخبب. وقد ورد هذا الاسم أيضاً لدى معاصره، الحصري القيرواني (ت: 488هـ)، أشهر شعراء الخبب، بقوله من ذات القصيدة المشهورة:

ما أجود شعري في- خبب-
والشعر قليل جيده .

الذي يشبه إيقاع حوافر الخيل، وغيره من الإيقاعات التي تلائم الأجواء العربية.

وتفعيلة بحر الخبب تأتي على النحو التالي:

فاعلُن فاعلن فاعلن فاعلن
فاعلُن فاعلن فاعلن فاعلن.

ومن الحركَة ظهر الإيقاع العربي ومن ثم ظهر الطرب. والإيقاع والطرب كلمتان عربيتان بجدارة، فكل من الإيقاع والطرب حاستان عربيتان أصيلتان، فالكلام العربي جله قد تعتق في ماء السماع، وتخمر في رحيق مرويات الشفاه حتى عذب سلساله، وتدفقت أسراره، وخصب خياله، وأقر كثير من الباحثين والمفكرين بأن اللغة العربية معرقة في القدم، ومن ثمة فهي لغة موسيقية وشعرية وإيقاعية في المقام الأول، فقد توالت انهار الإيقاعات والتنغيم والتلوين الصوتي على جسد هذه اللغة التي تنسكت في صمت الصحراء العربية حتى أحدثها كلمحة الشعاع، وأرهفتها كالتماعة الندي. والشعر العربي نفسه مشتق من هذه اللغة الإيقاعية الموسقة فهو يحتقب في طيات تراكيبه، وخفي صوره، جينات السماع الموغلة في ظلالها الرفيفة، وإيحاءاتها الظليلة، وأفيائها التعبيرية المنهلة عليه من كل حدب وصوب، فهي لغة معتقة بسرائر النغم، ممزوجة بنوازع الشجن والنشوة والألم.

والحقيقة أن علاقة الموسيقي بالشعر العربي أعمق من صور الكلام الظاهرية، لأنها تمتح وتستق من الأصول الإنسانية الدفينة، فلأمر ما يقولون موسيقى الشعر على سبيل تعالق الوجود بين المضاف والمضاف إليه، فالأصوات بخصائصها، وأنواعها، وأوصافها، وتعدد صور تأليفها وأشكال أدائها، هي جنس يشمل، فيما يشمل من الأنواع، فنّىَ الشعر والموسيقى، وفي بعض المصادر ترد الإشارة إلى فن الموسيقى بعبارة: «علم الألحان» و: «صناعة الألحان» وعبارة: «صناعة الإيقاع» وعبارة: «تأليف اللحون». وقد عرفوا الموسيقى بأنها: «صناعة في تأليف النغم والأصوات ومناسباتها وإيقاعاتها وما يدخل منها في الجنس الموزون والمؤتلف بالكمية والكيفية». وعرفوا الإيقاع بأنه: «هو نظم أزمنه الانتقال على النغم في أجناس وطرائق موزونة تربط أجزاء اللحن، ويتعين بها مواضع الضغط واللين، في مقاطع الأصوات».

لم يعد للعيش طعم

الموت قبل الأربعين

فراس حج محمد/ فلسطين

في مقالة بعنوان «رحلوا في شبابهم... شعراء ما زالوا بيننا!»، كتبها الشّاعر المصري عمرو العزالي، ونشرها في موقع الميادين بتاريخ 26 حزيران 2019 أتى فيها على ذكر أربعة شعراء لم يعمّروا طويلا، وهم السوري رياض الصالح حسين، والمصري أمل دنقل، والتونسي أبو القاسم الشابي، وشاعر العامية المصري مجدي الجابري، وركز الكاتب مقالته على فكرة حضور هؤلاء الشعراء واستدعاء القراء لهم، على الرغم من موتهم في سن الشباب، إلا أن حضورهم لافت للنظر، نحتاج في مواقف كثيرة لترديد أشعارهم وقصائدهم.

أرجعتني فكرة المقال إلى نص كتبته بعنوان «في الأربعين ثمّة ما هو جميل كذلك»، ضمن هذه السلسلة من «تأمل تجربة الكتابة»، وإن لم أتحدث عن الفكرة، إلا أن الموت قبل الأربعين كان هاجساً يسكنني، وكنت أفكر وأستحضر شعراء وكتاباً رحلوا دون سن الأربعين تحديداً، وقد أعددت مرثيتي «شيء من رثاء النفس» من أجل هذا الغرض، وكنت مشغولاً على نحو

جـدّي بالمـوت، قبل بلوغـي الأربعـين، فلما تجاوزتها ولـم أمت، توقفت عـن التفكير في الأمـر، وتوقفـت عن فكـرة أن أضيـف بيتاً للقصيـدة كل عـام في عيد ميـلادي، فبلغت القصيـدة أربعـين بيتـاً، أو ربمـا بلغت اثنين وأربعـين بيتـاً، وهـا قـد أنـا تجاوزت سـن الأربعـين بسـلام، وربما لحسـن حظي أنني لـم أمت إلـى الآن، لأكتب المزيد من الشـعر والنقد والسـرد، وأقرأ أكثـر، وأقتني الكتب والمجـلات، وأبحـث فيهـا عـن كل جديـد، ولحسـن حظي أيضاً أنني ما زلت أسـتطيع مراسـلة حبيبتـي كل صبـاح دون أن أشـعر بالملـل أو التعـب، مـع أنهـا تبـدو مشـغولة كثيـراً هـذه الأيـام. لكـن لا بـأس، فإنها لم تغـب طويلاً.

يقفـز إلـى الذاكـرة أيضـاً قـول الشـاعر العربـي القـديم: «ومـاذا تبتغـي الشـعراء منـي// وقـد جاوزت حـدّ الأربعـين؟» ماذا كان يقصـد الشـاعر بذلـك؟ هـل أفـرغ كل مـا بجعبتـه وشـعر أنـه لا جديـد لديه؟ هـل عليـه أن يمـوت شـعرياً قبـل أن يموت بيولوجيـاً ؟ ما علاقة سـن الأربعين بالكتابة الشـعرية؟ كيف يكون الشـاعر قبلها؟ وكيف يكـون بعدها؟ لمـاذا أيضا النبـي يصبح نبياً في الغالـب بعد الأربعـين؟ لماذا قـال القرآن الكـريم «ولمـا بلـغ أربعـين سـنة قـال ربـي أوزعنـي أن أشـكر نعمتـك»؟ هـل تتناقـض الهدايـة وشـكر النعمـة مـع الشـعر؟ هـل للشـعر شـياطين فعلاً تجعلك بعيـداً عن أن تشـكر نعمـة اللّه عليك؟

ربما بدت هذه الأسـئلة من باب الاسـتطراد علـى هامش مقال الشـاعر المصـري عمرو العزالـي، ولكنها دفعتني لأسـتذكر مجموعة مـن الشـعراء الذيـن لـم يذكـروا في المقال، وكان لهم بصمة في عالم الشـعر، إذ لا يمكن أن يمـرّ عـن تجاربهـم مـرور الكـرام، ففي التـراث العربـي تذكـر المصـادر التاريخيـة أن الشـاعر الجاهلـي طرفـة بـن العبـد لم يعمَّـر طويلاً، وأكـرم الروايـات تعطيه عمراً سـتة وعشـرين عامـاً، وأشـدها بخـلاً لا يتجـاوز عمره فيها عشـرين عامـاً. لقد ترك بصمتـه الواضحـة كونـه واحداً من شـعراء المعلقـات، وسـجلت قصيدتـه «لخولة أطلال ببرقـة ثهمد» حضـوراً في المجاميع الشـعرية والمصنفـات التـي تناولـت ترتيـب الشـعراء في طبقـات، وكان يحتـلّ مكانـه في الطبقـة الأولـى بوصفـه فحـلاً مـن فحول الشـعراء الجاهليين.

وفي الشـعر الفلسـطيني يبـرز الشـاعر إبراهيـم طوقـان الـذي ولـد عـام 1905 وتـوفي في 1941، وكان يعانـي مـن المرض، وتتشـابه قصتـه في جانـب منهـا مـع قصـة أبي القاسـم الشّـابي. كان طوقان ثالث ثلاثة من شـعراء فلسـطين قبل نكبة عام 1948، وهـم عبـد الرحيـم محمـود وأبـو سـلمى وطوقان نفسـه. لـم يخلّف طوقـان وراءه إلا ديوانـاً واحـداً، لكنـه كان ذو بصمة لا تمحى في الشـعر العربـي والشـعر الفلسـطيني، ومـا زالـت قصائـده «الثلاثـاء الحمـراء» و«الحبشـي الذبيـح» و«الشـهيد» ونشـيد «موطنـي»، وأبيـات متفرقـة أخـرى حاضرة تسـتعاد في مناسـبات متعددة، ويصدق الأمر على الشـاعر عبـد الرحيم محمـود الذي لم يتجاوز عمره خمسـة وثلاثـين عاماً، صاحب القصيـدة المشـهورة «سـأحمل روحـي علـى راحتـي»، تلـك القصيـدة أو بيتاهـا الأوّلان علـى أقل تقديـر يحفظهما كل أبناء الشـعب الفلسـطيني تقريبـاً دون أن يـدروا ربما أنها للشـاعر الشـهيد عبد الرحيـم محمود الذي استشـهد مقاتـلاً في معركـة الشـجرة عـام 1948.

ومـن بـاب الاسـتطراد أيضـاً الخـارج عـن نطاق الشـعر أذكّر بالكاتب الشـهيد غسـان كنفانـي الـذي لـم يتجـاوز عمـره السـتة

وثلاثين عاماً، عندما اغتالته العصابات الصهيونية المجرمة في بيروت عام 1972، وقد أنجز الكثير من الروايات والقصص والمسرحيات، وكان فاعلاً في الحركتين السياسية والثقافية، وكما صوّره الروائي ياسين رفاعية في رواية «من يتذكّر تاي» كان يسابق الزمن، ويريد أن يكتب الكثير قبل أن يأتيه الموت الذي كان يشعر أنه محدق به نتيجة نشاطه السياسي البارز في تلك الفترة. وبسبب ما أنجزه كنفاني من أدب وخاصة في حقل الرواية، عدّه فاروق وادي علامة من علامات الرواية العربية الفلسطينية مع جبرا إبراهيم جبرا وإميل حبيبي .

ومن الشعراء الفلسطينيين الذين رحلوا في الأربعينيات من عمرهم الشاعرة منال نجوم، فقد خطفها الموت مبكراً، فقد عاشت سبعة وأربعين عاماً (1972-2019)، وعانت في حياتها كثيراً وخلّفت وراءها أربعة دواوين شعرية، وكانت وما تزال صوتاً شعرياً نسوياً متفرداً في سياق الشعر الفلسطيني، وتتمتع بلغة شفافة وصور ذات حساسية جمالية عالية. وأذكّر كذلك بالشاعر راشد حسين الذي لم يتجاوز عمره واحداً وأربعين عاماً، والشاعر الريادي توفيق صايغ الذي رحل ولم يتجاوز ثمانية وأربعين عاماً، وترك بصمته في التجديد الشعري في مجموعته الشعرية «ثلاثون قصيدة»، وفي أعماله الأخرى، حيث كتب مبكراً قصيدة النثر، ويعرّج عليه الدارسون بوصفه أحد الأصوات الشعرية التي أخرجت القصيدة العربية من قالبها التقليدي، ثائراً على عمود الخليل والتفعيلة العروضية.

وأما عربياً فقد كان هناك شعراء كثر لم يعمروا طويلاً. فالشاعر العراقي بدر شاكر السياب لم يتجاوز عمره 37 عاماً، وكان يعاني من المرض. وارتبطت الحداثة الشعرية الحقيقية به، ليس فقط، في ريادته للشعر الحر، تلك الريادة التي تنازعها مع الشاعرة العراقية نازك الملائكة، بل تخطت الحديث عن الشكل إلى قضايا فنية أخرى تمسّ القصيدة المعاصرة، وأهمها توظيف الأسطورة، وطبيعة اللغة الشعرية القائمة على التكثيف والرمزية وتعدد الرؤى، فالسيّاب هو من منح القصيدة الحديثة طابعها المختلف عما سبقه من الشعراء، وعن كثير ممن لحقه من الشعراء بعد ذلك .

ومن الشعراء العرب الذين أنهوا حياتهم بأنفسهم، بالانتحار بطلق ناري وهو ما زال شاباً، الشاعر الأردني تيسير السبول الذي انتحر بتاريخ 15 تشرين الثاني عام 1973 بعد مروره بحالة نفسية سيئة بدأت معه منذ هزيمة عام 1967، ويعدّ الشاعر السبول أحد الشعراء الذين توقفوا عند مسألة جدوى الكتابة وأثرها، فتوقف فترة وجيزة عن الكتابة، ثم عاد. ويشترك مع الشاعر خليل حاوي في أن انتحارهما كان ردة فعل سياسية لما حدث من هزائم، فخليل حاوي انتحر وهو ابن 63 سنة عندما دخلت قوات الاحتلال الإسرائيلي بيروت عام 1982، وكان انتحار السبول ردة فعل رافضة لما حدث عام 1973 من مفاوضات بين الإسرائيليين والمصريين، وعرفت بمحادثات خيمة الكيلو (101).

وفي هذا السياق، فإن رحيل الشاعر الليبي محمد ساسي، وهو في مقتبل العمر، في يناير 2020 إثر حادث سير، شكّل صدمة للوسط الثقافي العربي، فلم يكن يتجاوز الستة والعشرين عاماً إلا قليلاً عندما آذن بالرحيل المبكر، كأنه حفيد الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد، ومن اللافت للنظر في حالة ساسي أنه ربما قد تنبأ

بموتـه، إذ كان آخـر مـا كتبه علـى صفحته في الفيسـبوك قبل الحادث بسـاعات قليلة: «أريـد أن أكبر لأرى الذين بقـوا معي، وأُريَ الآخريـن أنّنـي ما عـدتُ باقيا». وقد سـبَق لـه أن كتب مقطعاً شـعرياً قصيراً في شـهر نوفمبر 2019 على صفحته في الفيسـبوك على خلفيّة سـوداء، يظهـر فيه انقطاع أمله، فغـدت الحيـاة والموت عنده سـيان:

الْتدَعْنَا.. إذْ خُدعنا
أيّها الحبُّ.. فدَعْنا

لم يعُد للعيشِ طعمٌ - لم يعُد للموت معنى.

وأمـا الشـعراء الغربيـون، فسـأكتفي بذكر مثالـين، الأول الشـاعرة الأمريكيـة سـليفيا بـلاث التـي عاشـت ثلاثـين عامـاً، وماتت منتحـرة بالاختنـاق، وكانـت زوجة الشـاعر تيـود هيوز، وشـكلت الشـاعرة بـلاث حالة فريـدة في الشـعر الغربي الأمريكـي، وتناول الحديـث عنهـا الناقد جيمس فـنن في كتابه «قوة الشـعر»، والشـاعر الآخـر الذي أحب لفـت النظـر إليـه الشـاعر الفرنسـي آرثر رامبـو الـذي لم يطـل عمره أكثر من سـبعة وثلاثـين عامـاً، وتوفي بعد صـراع مع مرض سـرطان العظـام، ويذكـر أن رامبـو كتـب الشـعر وهو ابن أربعة عشـر عامـا، ووصفه فيكتور هيجو بأنه «طفل شكسـبير» لبراعته الشـعرية وعبقريتـه الظاهـرة، واللافـت في سـيرة هـذا الشـاعر توقفه عـن الكتابة قبـل أن يبلـغ الحادية والعشـرين من عمره، بمعنـى آخـر أن عمـره شـاعراً توقّـف عند هذه السـن، مشـابهاً ولـو من بعيـد لطرفة بن العبـد ومحمد ساسـي.

وظاهرة الشـعراء الموصوفـين بالكبار الذين ماتـوا شـباباً لافتـة للنظـر، تطـرح سـؤال الإبـداع والشـهرة، لمـاذا؟ وكيف؟ وسـبق أن تناولهـا كتّـاب غيري، وأشـاروا إلى شـعراء آخريـن، أو ربمـا تناولـوا في حديثهـم بعض هؤلاء الشـعراء الذيـن تحدثت عنهم في هذه الوقفة.

ولم أقصد هنا أن أسـتقصي كل تلك النماذج، ولكـن مـن يتتبـع حياة الشـعراء سيكتشـف كثيـراً مـن الأمثلـة، وسـيلاحظ أن الإبـداع سـمة تبـدو في الشـاعر منـذ سـن مبكـرة، وكأن هـذه الظاهـرة ترجمـة عملية لمـا قاله الشـاعر العربي: «وماذا تبتغي الشـعراء مني وقـد جاوزت حـد الأربعين؟»، ولكـن هل قال كل هـؤلاء الشـعراء كل مـا يجـب أن يقولوه؟ ولـو طال بهـم العمر، هل سـيكون لهم المزيد مـن الإبـداع، أم أن الأمر لا يعـدو كونه قدرا مقدورا؟ ربمـا اسـتطاعوا أن يراكموا مزيداً من الشـعر على هامـش ما أنجـزوه وعرفوا بـه، وكانوا مـن أجله شـعراء كبار.

وفي ختـام هـذه الوقفة التأمليـة، يبدو لي أن تراكـم الكتـب، كتابـا يتبعـه كتـاب لا يجدي نفعـاً في تبـوؤ المكانـة التـي يطمح الشـاعر إليهـا، إن لـم يبـدُ ذا بصمـة في الحركـة الشـعرية والثقافية عمومـاً، فربما كان الغرق في بحر الكتابة لسـنوات متعـددة وهماً ليس أكثر، هل نكون شـجعاناً كالشـاعر الفرنسي آرثـر رامبو ونتوقـف على الأقل عـن الكتابة إن كنـا جبناء لا نجرؤ على الانتحار كتيسـير السـبول وسـليفيا بـلاث. وكمـا قالـوا: «ويا دار مـا دخلك شـر»، ونكتفي بمـا اكتفينا به؟ فحيـاة الكتابـة والكاتـب وموتهما سـيان في حـالات كثيرة.

ربمـا لـن نسـتطيع اتخاذ مثـل هـذا القرار، فكثيـر منا ما زال جبانـاً وصغيراً على اتخاذ القـرارات المصيريـة كهـذا القرار، وسـنظل نمـارس أوهامنـا رغمـاً عـن ألـم المـوت في دياجيـر هذا الدهليـز اللولبيّ الذي لن ينتهي إلا بانتهـاء الأجل. ولعله أطول مما قد يرغب إنسـان في أن يعيش أربعينيتين بوتيرة واحدة، سـتصبح مملـة، ومملـة جدا بلا شـك، وكما **قـال الشـاعر محمـد ساسـي رحمـه الله: «لـم يعـد للعيـش طعـم لم يعـد للمـوت معنى».**

شيطنة عابرة..!

حسن المغربي. ليبيا

لقد جعلتُ بغباء ودون وعي الأشياء الساحرة مجرد لعبة أتسلى بها مثل الأطفال، كانت رؤيتي للعالم رمادية إن لم تكن معتمة، وكانت السعادة في نظري انغماسٌ أكثر في المتع الحسية دون تفكير في ما يعقبها من ألم، وطالما اِقْتَنَعتُ بأن طهارة الحب لا تعني شيئاً، ولم يدر بخَلدِي قط أن أتخلى عن هذه الأفكار الصبيانية، أن أحب بصدق وبالمعنى الكلاسيكي لهذه الكلمة ربما هذا لن يحدث.

أن أرغب في قدرٍ كبيرٍ من اللذة، هذا ما كنت أسعى إليه طول الوقت، وفي جميع الأحوال فإن الحب في نظري لا يزيد عن كونه ممارسة صارمة لشحنات مكبوتة، تحتاج إلى إنعاشٍ دائم مثل الأجهزة الذكية. لم أفكر يوما في الجرح الذي يحدثه الانفصال، لم أفكر في ذلك الإحساس الذي يدعى الألم، كل ما يشغل تفكيري،هو الموقف الحاسم، اللحظة الحميمة، لحظة رجّة المهراس..! ومن ثم ينتهي كل شيء، ولا يبقى سوى رجع الآهات وبيانات تافهة مسجلة على طريقة ماركيز.

وفي لحظة ما، ربما في تلك اللحظة التي رأيتكِ فيها بالمقهى، ضاق صدري وأخذت نوابض الحياة جميعها تخمد وتظلم بشكل عشوائي، قلت لنفسي: من المفترض أن يعيش المرء في سعادة أبدية، لو أنه استطاع التمسك بأول فتاة عرفت كيفية فهم لغة الجسد، ولاشك أن الذي قادني إلى هذه القناعة ليست الأشياء التي حدثت بيننا في الحانات، وفي الشوارع، وفي سيارات الأجرة، وإنما من جراء ذاك الحلم المتناسل في الذاكرة.

أعترف أن طيفك جبار وعنيد، ورغم تبجحي، فأني أعلن ههنا هزيمتي الساحقة كما توقعتِ لي ذات يوم ونحن في انتظار الباص، كنتِ واثقة من نفسك حينها، وكنتُ أنا بدوري في حالٍ هي أقرب

إلـى الجنـون..! مازلـتُ أذكـر رغـم مرور أكثـر مـن عشـرين سـنة جميـع تفاصيلك المذهلـة بمـا فيها ضحكتـك الصاخبة التي تشـبه ضحكة الغجر! تصدقـين إذ ما قلت إن جميـع الأفـلام التي كنا نشـاهدها معاً لـم تـزل محفـورة بالذاكـرة كنحـتٍ أزلـي سـاحر، وإن كل الأشـياء المفضلـة لديـك، ملابـس، ألـوان، أطعمـة، تعـد الخيـار الأمثـل بالنسـبة لـي، حتى كلمـات قصيدة الشـابي : (أراك فتحلـو لـدي الحياة)، ما زلـتُ أحفظهـا علـى ظهـر قلـب، أتـدري أن أول لقـاء بيننـا لـم يكـن عنـد بائـع الجرائـد الأخرق الـذي أغضبـكِ، وحاول ابتـزازكِ مـن أجـل دراهـم حقيـرة، وإنما اللقـاء الحقيقـي كان في ذاك المقهى حينما أهملنـا العالـم، وأخذنـا نتحـدث بعفويـة عـن تفاصيـل حياتنـا اليوميـة.. كنـتُ أنظـر إليـكِ بدهشـة تعـادل دهشـة مـن يـرى «الميـدوزا» ، لقـد كنـتِ حقـا فاتنـة، مشـرقة، شـعلة متوهجـة، كنـت أجمـل مـن باسـكال مشـعلاني رغمـا عـن أولئك الذيـن كانـوا يعقدون، بلا جـدوى، المقارنة بينـك وبينها، مازلـتُ أسـتغربُ-حتى هذه اللحظة-كيـف اجتمـع الطيـش والجمـال ونحـن نلهـو في المقهـى وكنا سـاعتها نغني مطـر مطر.. أواه! يالها من حسـرة وسـوء تدبيـر، كان علـي أن أقتنع بجـدوى الفكرة التـي تقـول: إن السـعادة والجمال لا يمكن أن يتحـدا طويـلاً، فربـاط الحـب ينفصم مثلمـا ينفصـم ربـاط الحياة.

أن تنتهـي علاقتنا بتلـك الطريقة المخجلة! أن تُنتهـك عواطفنـا وتتحـول لأشـياء آثمة يُسـتحى منهـا، ونقنع أنفسـنا مـراراً بأن الـذي كان بيننـا مجرد نزوة ،شـيطنة، لهو عابـر، هـذه هي الخيانـة، كلانـا ياحبيبتي خان، وباع نفسـه، وزعم أن السـماء تجنت عليـه، ومـع هـذا، سـأقول بلغـة نـزار: شـكراً، أتمنى لـو وجدتِ مـن يُحبك مثلي.

مرض التفكير الزائد

خليل بوبكر /موريتانيا

أحيانـاً، تشـعر بـأن دماغـك يصبـح في قمة نشـاطه عندمـا تخلد للنوم، فتجـده يمر على كل الأحـداث السـابقة واللاحقـة كأنه قطار مسـافر إلـى الأبـد. قلـق ممـا حـدث ومما لـم يحـدث، لـن نعرض هنـا حلولاً سـحرية، ولـن نعيـد كلام المنتديـات، بل سـنقدم رؤية سوسـيولوجية مـن منظور منطقي فلسـفي، فـلا يوجد حـل مثالـي لدوامـة التفكير هذه نظـرا لإختـلاف آراء أطبـاء النفـس ونظـراً لإختـلاف طبائع البشـر ومشـاكلهم.

كمـا أن القضية تطال الجميع بمن فيهم أطباء النفـس أنفسـهم، وتتفـاوت أحيانـاً إجابـات المختصـين، فبعضهـم يقـول «اشـغل ذهنـك بالتفكيـر وركـز بعينيـك علـى شـيء معين»، وبعضهـم يقول «هـل تحلم بالعمل في شـركة كبيـرة، هل تفكر بشـراء سـيارة؟ اقض وقتك مـا قبل النوم في تخيّل أثـاث المنزل، أو تَخيلك وأنـتَ تحقـق أحلامك» !

بـاللّه عليكم، أليس التخيـل نوعاً من التفكير؟ فكيف يعالجون التفكير بالتفكير؟ أم أن الزيت أصبح يخمـد النيران في زمن المسـتحيلات و السذاجة الفكرية.؟

في خضـم الإبحار في متاهـات النفس والحياة والبشـر، لا يسـعنا إلا أن نتذكر قول «إيليا أبو ماضـي» : إنّ التأمّـل في الحيـاة يزيـد أوجاع الحيـاة «، فلنتأمـل إذاً قليلاً ونُنهـي تأملنا مع آخـر كلمة من هذا المقـال مخافة الوقوع في ما حـذر منه نبـي التأمل.

ولأن الناقد يؤول النص بما ليس فيه، اسـمحوا لـي أن أتقمـص دور الناقد قليـلاً لأقارب بين التأمـل والتفكيـر، أليـس التأمـل جرعـة من التفكير مركزة بشـدة في إناء عميق بلا أطراف ؟ وما المانـع في أن نعتبر ذلك الإناء هو الحياة؟ أليست الحياة عميقة جداً و بلا أطراف ؟ ومن الغريـب أن يكـون الأرق الذي نعانيـه والأفكار التـي تقتحـم علينـا غرفتنـا عندمـا نسـتعد للنـوم والتـي نظنها وليدة العصـر الحديث قد أشـار إليهـا «إيليا أبـو ماضي» حتـى لو كانت إشـارته مقتضبة، وتعني فقط التشـخيص من جانبه الميتافيزيقي.. فلنتحسـس تلك العبارات بحثـاً عن الوصفة السـحرية التي يبحث عنها جميـع الذيـن قذفتهـم الأقـدار بصرخـةٍ إلى

هـذا المسـرح الكبيـر، والذيـن ضاعـوا فيـه لتشـابه الأدوار، والذين يشـككون في أدوارهم القادمـة في مسـرح الخلود .. إلـى كل أولئك، دوامـة التفكيـر التـي تعصف بنـا أحياناً قبل خلودنـا للنـوم، أو حتى في وضـح النهار ماهي إلا نـوع من أحـلام اليقظة، فإيـاك أن تكتئب لكثرتهـا ،أحـلام اليقظـة دليـل علـى تحمل الفـرد للمسـؤولية رغم تقاعسـه عنها، لذلك يظـل ضميره يؤنبه جـراء الإهمال أو الإنتظار أو التسـويف، فيقـوم العقـل الباطـن بتحفيز خلايـا التفكير كلما سـنحت الفرصـة، غالبا أولئـك الذيـن يفكـرون كثيـراً هم أشـخاصٌ ضيعوا أكثـر من فرصة للنجـاة، وخُذلوا أكثر مـن مـرةٍ في معترك الحيـاة، النفـس الأمارة بالسـوء تكتفي بإعطـاء الأوامر دونما تأنيب و النفـس اللوامـة غالباً ما تنتشـل صاحبها من الخمـول عن طريق التأنيـب والتأنيب حتى يتـوب من المجـزرة التي يرتكبهـا في حق وقته الثمـين، فمـن منا أخذ بأسـباب الهنـاء؟ من منا أخذ بأسـباب السـعادة والرغـد والعيش الكـريم الـذي لا تجـد فيـه النفـس نفسـها ضعيفـةً لتسـتقوى عليها، قد يقـول قائل بأن هـذا جلـدٌ للذات، وبـأن جلد الـذات لا يقدم ولا يؤخـر، ولكن هذا ليس جلـداً للذات بقدر ماهو تشـخيص يسـبر أغوار النفس البشرية التـي هي جـزء لا يتجزأ من معادلـة الإفراط في التفكيـر، وقد يقول قائل بـأن الحياة حياة والديـن دينٌ و لن يلتقيا علىٍ طريقة الشـاعر البريطانـي «كبلينـغ» معـللاً قوله بـأن الأمر يشـمل الجميع بمـن فيهم أصحـاب الديانات الأخرى!

صحيـح أن دوامـة التفكير هـذه، والأرق قبل النـوم تعصـف بالجميـع، ولكـن أمـا آن لنـا أن نوقـن بأننـا «جنـس حـاد المشـاعر جامح الغرائـز ،عندمـا يطيش يفقد وعيـه وعندما يعقـل يبلـغ الأوج « كما قـال «ابن خلـدون».. حـاد المشـاعر أي يبالـغ في الحـب والكـره والرغبـة، مبالغتنـا في كل شـيء، ربمـا تولـد لدينا متلازمـة التفكير هـذه، و«نطيش» ربما بسـبب غياب بوصلة ومعالم طريق واضحة في حياتنـا مما يفقدنا وعي العقل فنكون سـجناء بداخلنـا لأن العقـل يموت عندمـا يفقد وعيه ،و غرائزنا و شـهواتنا سواء المادية أو الحسية، ربما جموحها أيضاً يسـبب زيـادة في التفكير، لذلـك يجب دائمـاً أن نكبـح جمـاح غرائزنا، فالذيـن يفكـرون بشـدة غالبـاً مذنبـون بحق أنفسـهم، و يهملـون حياتهم الطبيعيـة، لذلك لا بـد طبعـاً من ردة فعـل لتلك الثغـرات، كما تثبت الدراسـات الحديثـة أن المصابين بمرض التفكيـر الزائـد غالباً هم أشـخاص يعيشـون حيـاة فوضوية غيـر مرتبة مما ينعكس سـلباً علـى الدمـاغ، كمـا أن المصابين بهـذا المرض ينامـون في أوقـات غيـر مناسـبة، ويضيعـون فرصـة النـوم في الأوقـات التي يسـتريح فيها الجسـم، فالجسـم عندما ينـام في أوقات غير مخصصـة للنـوم يكـون بذلك يسـتهلك طاقة كبيرة كمـن يركض أو يمـارس الرياضة، لذلك كثيـراً مايسـتيقظ اللذين ينامـون بعد العصر وهـم منهكـين خائـري القوى..ولكـي لا نحرم العقلانيين من هذه الوجبة الدسـمة، أليسـت الحيـاة صراعٌ مـع الذات قبـل أن تكون صراع مـع أي شـيء آخـر، إن كسـبناهُ هـان علينـا كل شـيء، وإن خسـرناهُ خسـرنا كل شـيء ؟، فأكبـر جهاد هـو جهاد الـذات و أكبـر غنيمة هـي غنيمة السـلام،لأن سـلامنا الداخلي مع أنفسـنا هـو لسـاننا الذي نتـذوق به الأشـياء والأحداث والمشـاعر، فكيف لشخص بلا لسان أن يتـذوق طعـم الحيـاة!، لذلك تـذوّق الحياة بسـلامك الداخلـي و نظّم وقتك، ضـع هدفاً نصب عينيـكَ و ارعاه دائمـاً بالجد والاجتهاد والصبر، اصنع عالمك الخاص وعزلتك الراقية الايجابية، لا تخض في النقاشـات العقيمة، ولا تبذل الكثير مـن الطاقة في الكلام، ازرع الخير في كل مـكان، وكـن شـخصاً ودوداً يطمـأن له الجميـع، ولا تغـص معهـم في الأعمـاق كي لا تخسرهم، فالنفس البشـرية بحرٌ مظلم جداً!، واصنـع برنامجـاً يومياً يخلـو من أي فـراغ ، إيـاك والفراغ فإنـه أبو الأفكار الشـيطانية.

التشكيلي الليبي "عمران بشنة" :

الذي رثته الريشة وبكاه اللون

د.عواطف منصور. تونس

هو القائل:

ـ لـو خيّروا بينـي وبينك يا وطنـي الكبير، مـا أتخلى عنك مهمـا كان المصير، لا أبدل جلدتـي ولا أنحني لعدوّ مهمـا كان خطير، ولـن أنحنـي أو ألتـوي أو أنكسـر، وطنـي فدتـك نفسـي والعمـر يمضي وأنـت باقٍ، فديتـك بقلمـي ولونـي وروحـي وعقلـي الكبيـر، أعطي دون جـزاء، ولا أصد أحداً وأقـول لا، فالوطن أنتـم وأنتن وكلّ هؤلاء، وأنـت وأنـا، هنا هـو مكمـن السـرّ فينا، السـرّ الذي يراه فينـا، كل أعداؤنا الأمر الجلـل والخطيـر، لذا لو خيرونـي على ما بينـي وبـين وطنـي وأنتم مـا اخترتُ أبداً بديل .

وهـو الـذي لـم يبتعد عـن موطنـه حتّى في أحلـك ظروفـه، وطنـه ليبيـا، وطـن أحبّـه وعشـقه وتجـذّر بـه وفيه فلـم تبعـده عنه سـوى المـوت، ولكنـه كان أصيـلاً حتـى في موتـه، فقـد قـال وهـو الصـادق دوماً :

ـ وطنـي فدتـك نفسـي، فديتـك بقلمـي ولونـي وروحـي وعقلـي الكبيـر»، نعـم لقد فـدا ليبيـا بلونه وريشـته، فمـات هو وظل

« حوش الطين وتجهيز وجبة الطعام »

«بيت العيلة

اللـون عابقـاً بمـا خلّفه من مُنجـزات فنية اختلفـت وتنوّعـت منطلقاتهـا الفنيـة، كما تنوعـت أسـاليبها وتقنياتهـا ولكنّهـا كانت تأبـى التغريـب والانصياع لقـوى المعاصرة الغربيّـة فتأصّلـت وتعمّقـت وعبقـت بريح الأرض والتقاليـد مـن أرضـه وموطنـه ليبيا .

نتحـدّث هنـا عـن الفنـان التشـكيلي والناقـد والأسـتاذ الجامعي ورئيس قسـم الفنـون الجميلـة بكليـة آداب الزاويـة، «عمران بشـنة»، فنّـان أراد أن يـؤرّخ للفن بقلمـه فكتـب حـول تجـارب الآخريـن، ولكنّـه لـم ينـس نفسـه، فقـد أرّخ لها من خلال ريشـته، ومـن خلال اللـون. في هذه الأثنـاء لـم أجد أجمـل من قـراءة تجربته المحمّلـة بالمعانـي التشـكيلية والمخضرمـة بـين عـدّة أسـاليب فنيّـة، علّني أرثـي بها فنانـاً وصديقـاً وأسـتاذاً جمـع كلّ هـذه الصفـات لكـي لا يمـوت وإن غدا الجسـد إلـى خالقـه، لتبقـى لوحاتـه ترنـو بيننـا لتحدّثنـا عـن تفـرّد فنـان رسّـخ جماليات الفـن الليبـي بريشـته.

«عمـران بشـنة»، فنـان أصيـل متأصّـل بتراثـه الليبـي، وإن تحـوّل نحـو التجريب الفنـي في كلّ أشـكاله وأسـاليبه إلاّ أنّه لم يتنكّـر لموطنـه العابـق بتـراث فنّـي أصيل، ذلك أنّه رسـم التجريـدي والواقعي والحلم والسـريالي ناقـداً واقـع المجتمـع الليبـي وراسـما تقاليـده اليوميّـة وعاداتـه،... تعمّـق في التجريـب الفنـي فجمّـع بـين مـواد وتقنيـات متنافـرة وخلق مـن الهجين والمختلـف أسـاليب ورؤى فنيّـة اختلفـت علـى تعدّدهـا والبحـث اللونـي ليبـرز أنّ الفـن التشـكيلي الليبي شـأنه شـأن الفنون العربيّـة الأخرى يجـاري المعاصرة ويحتفظ بأصالتـه ولـه أن يجـاري الفنـون العالميّة، وكلّ ذلـك مـن أجـل التفرّد وخلـق الأصيل مـن الكوني.

رسـم «عمران بشـنة» تراث بـلاده بمكوّناته وعاداتـه فرسـم المـرأة الليبيّـة بزيّهـا التقليـدي وهيبتهـا في «حوشـها»، رسـمها في عمـق بيتهـا لتكون هـذه البيئـة عنصراً مهمّـاً في منشـآته الفنيّـة، وقـد تشـوب واقعيّتـه في بعـض الأحيـان مسـحة فطريّة لا تفقـد الفنـان أكاديميّتـه ولكنّهـا ترسـم طابـع الأصالـة والتقاليـد في المـرأة الليبيّة وحتّـى يقدّمهـا الفنـان في طابـع يكسـوه اليسـر والسـهولة لمجتمعـات لـم تعتـد الفـن في تشـخيصيّته العميقـة وواقعيّتـه، أو ربّمـا هـو من خـلال ذلك يحافـظ على

يوم من أيام العرس الشعبي الزاوي الليبي

لوحة سرياليّة، اقلام على ورق

أصالـة المـرأة الليبية وحشـمتها المعهـودة ضمـن مجتمعها. وقد يعنـي حضـور المـرأة الكثيـف في لوحـات «بشـنة»، الوطن الذي يعـود إليـه في كل مـرّة ومـع كلّ تجربة، وهـي الأصالـة وإليها الرجـوع الدائم، وهي التقاليـد في لباسـها والعـادات في مكوّناتها وواقعها اليومي وهي العاشـقة والمعشـوقة، هـي الكـون وهـي الـكلّ معـاً، ولطالما قال فيهـا وعنها شـعراً، إنّهـا ليبيـا، ليبيا التي غنّهـا لوناً ورسـمها موضوعا، ودفـن فيها جسـدا لتذكـره أعماله التي سـتحيى دوما وأبدا.

« حـوش الطـين وتجهيـز وجبـة الطعـام « يـوم مـن أيـام العـرس الشـعبي الزاوي الليبـي«بيـتالعيلـة

رصـدت تجاربـه الفنيّـة رغـم بسـاطتها ونقلهـا لبيئتـه الليبيـة حبّـه لجـذوره التي نقلهـا ببسـاطتها مجسّـدا فيهـا كل المعاني النبيلـة بمكوّناتهـا الثقافيّـة واليوميّـة، لنشـهد حفـل العـرس الليبـي التقليـدي ونسـتحضر معـه أجـواء تحضيـر الطعـام

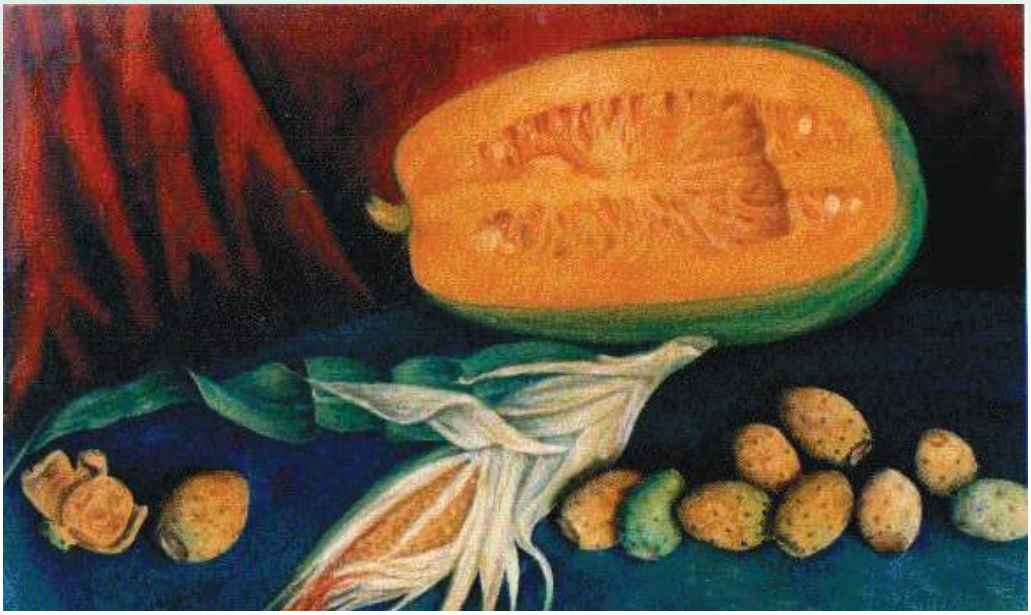

طبيعة صامتة

وأجـواء «الحـوش» أو البيـت العربي. لقد سـجّل مشـاهد بصريّـة تجـاوزت التقاليد إلـى ذاكـرة فنيّة سـجّلها من خـلال اللون والشـكل والأسـلوب وحتـى الموضـوع. وعليـه، فقـد تظهر أعماله بسـيطة سـهلة التـذوق عنـد المتلقّـي البسـيط ولكنّهـا محمّلـة بالمعاني لمن يرصـد النقد والقراءة والبحـث في مكامـن هـذه التجربـة.

ولأنّ «عمـران بشـنة»، هـو فنـان أكاديمي بالأسـاس، درس تاريخ الفـن فأثّر فيه كما تأثّـر به، فقـد تنوّعت منجزاتـه الفنيّة بين الواقعـي، التشـخيصي، التجريـدي، وبـين الرسـم الزيتي، الرسـم المائـي، الرصاص، وبين الرسـم بالريشة والرسـم باللون. كما تآلفـت عنـده المـواد الهجينـة على سـطح أحـادي،... هكـذا هـي تجربتـه تشـكّلت مـن بسـاطة البيئـة ودراسـة الفـن، ومـن أجـل ذلـك وصفتـه الناقـدة الليبيـة آمال ميـلاد زريبـة في قـراءة لأعمالـه قائلـة : «عمـران بشـنة من الفنانين الذين سـاهموا في إرسـاء قواعـد الفـن التشـكيلي الليبـي المعاصـر، فنـان يتمتـع بحساسـية عاليـة، تحمـل تجربتـه الفنيـة الكثيـر مـن المهارة والقـدرات الفنيـة التشـكيلية مـن خـلال ممارسـته الدائمـة لأدواتـه الفنيّـة، حيـث أتقـن فـن التخطيـط والتصويـر المائـي بالإضافـة إلـى إجادتـه لتقنيـة التصويـر الزيتـي، تميـزت أعمالـه بلغـة تشـكيليّة تلقائيّـة عاليـة مثّلـت مرحلـة تجديـد في فنّـه». هكـذا هـي أعماله خلاصـة تجارب متعدّدة ومختلفة وخلاصة دراسـة وتدارس وتأثّـر وتأثيـر،... تنوعـت فيهـا التقنيـات كمـا تنوّعـت فيهـا المحامـل،...

لوحة سـرياليّة، اقلام على ورق

طبيعـة صامتة

لقـد رسـم باللون وتحدّث بالريشـة وشـكّل بالتـراب وخلـط المـواد الهجينـة مـن رمل

خامات طبيعية «الياف النخيل» كولاج / مكملات ملكية

خيش ورمل وخيوط، مواد مختلفة

وخيـوط وخيـش وأليـاف نباتيّـة،... علـى سـطح لوحتـه فأنتـج تجربـة متفـرّدة لـم تحاكـي تجـارب الآخريـن ولـم تتنصّـل عن الفـن العالمـي ولكنّهـا تشـكّلت مـن موطـن الفنـان وتجذّرت في تقاليده ورسـمت خباياه دون أن تكـرّر أو تتنـاص، ولنـا أن نرى ذلك في مجمـل لوحاتـه الواقعيّـة أو التجريديّـة والواقعيّة والتشـخيصيّة التي رسـمت البيئة الليبيـة في أبهـى حللهـا ليسـتحضر فيهـا حفـلات العرس الليبـي، العـادات والتقاليد الليبيـة،... وتجاربـه التـي ألف فيهـا المواد المتنافرة،...

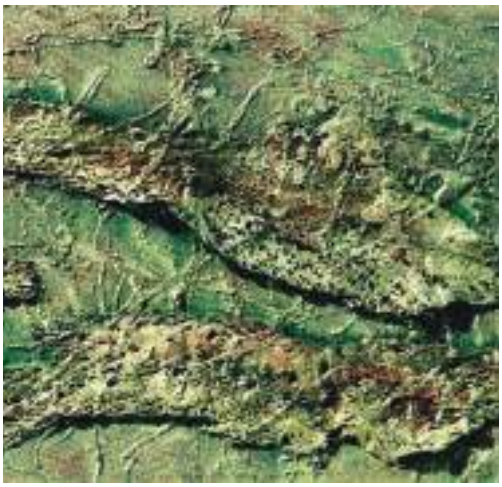

توليف مواد مختلفة

توليف مواد مختلفة

انتجتهـا في مهرجـان « دوز- تونـس مـواد مختلفـة / خيـش ورمـل وخيـوط، مـواد مختلفـة 50×70سـم

خامـات طبيعيـة «اليـاف النخيـل» كولاج / مكمـلات ملكيـة مهرجـان المحـرس الدولي بتونـس 2003

بلـورت تجربـة «عمـران بشـنة» اتجاهاتـه الفنيّـة لتجمع بـين الواقعيّة، التشـخيصيّة، السـرياليّة، التجريديّـة،... وقـد اسـتطاع أن يخلـق بفضـل ذلك ميـزة وإيقاعـا فكريّا تحـوّل بمـرور الوقـت مـن الرسـم المباشـر للأشـكال والمواضيع إلى البحـث في المفاهيم والإيحـاءات والحـركات مـن خـلال اللـون، ليصبـح اللـون مطيّتـه الفنيّـة وأسـلوبه التشـكيلي، فتعدّدت الألـوان وتحرّكت ضمن فضـاءات اللوحـة ومسـاحاتها تاركـة المجال لرؤيـة الفنـان. هكـذا هـي تجربتـه الفنيّة، متنوّعـة متطـوّرة، لا تكبّلها قيـود تاريخ الفن ولا تسـتجيب إلا لـرُآه، كيـف لا يكـون وهـو

أعمال تجريبيّة للفنان كانت من أخر تجاربه الفنيّة كان اللون مطيّته الإبداعيّة

من قال هذا القول عن نفسه:» المراحل الفنيّة التي خضتها كانت بالنسبة إليّ بمثابة تجريب فأنا لا أتبع قيود مدرسة تكبلني، فلا حدود تسعني،... عندما أجد الفكرة أبحث عن الأسلوب الذي يتلاءم وتحقيقه، والخامات التي أنفذ بها عملي ولا أخضع لرأي أحد فعلاقتي بأعمالي علاقة الشاعر بقصيدته والعاشق لعشيقته والأم بولدها ، فهي عصارة لفكري وبصري وإحساسي قد يصعب أحيانا التعبير عنه». أعمال تجريبيّة للفنان كانت من أخر تجاربه الفنيّة كان اللون مطيّته الإبداعيّة

إنّ فن «عمران بشنة» هو مزيج من القواعد الفنية بين الكلاسيكية والتجريدية والرمزيّة والمفهوميّة ضمن تجريبيّة أرادها الفنان أن «تخاطب وتنمّي الذائقة الحسيّة والبصريّة لدى الناس أينما كانوا وإبراز القيم الفنيّة والجماليّة للوحة من جهة وفي تراثنا وثقافتنا المحليّة والعربيّة من جهة أخرى، وفتح نوافذ للإضاءة في بصائر الناس لتحسس الخبايا الكامنة في مخزوننا الفكري والثقافي العربي والمحلّي لدى الجميع لتعويد عيون المتلقين على الاستيعاب الصحيح والتحليل لنشر المعرفة بين الناس بواسطة اللون والخط والمساحة».

أخيرا وليس آخرا، هل يصحّ القول بموت الفنان، قد يصحّ القول بموته جسداً وهنا نطلب لروحه السلام، ولكنّه حيّ بتجاربه الفنيّة التي أرّخت لمسيرته التي لن تفنى بفنائه. وأخيرا أقول : عساي رثيت فنّاناً يستحق الذكر، فنان سعى من خلال تجاربه الفنيّة إلى أن يؤسّس لفن معاصر من خلال موطنه ليبيا، فنان بكل ما تعنيه الكلمة ؟

❖باحثة في جماليات الفنون وفي علوم التراث. كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس

قبل أن نفترق

الألق الإفتراضي

كيف يكون كل هذا الألق الأزرق منفى لأوجاعي ، كيف لي أن أتحول إلى كائن افتراضي يمارس دوره التمثيلي ببراعة وأنا لستُ كذلك ، كيف أتواصل مع هذه النقطة الخضراء الداكنة التي لا يغمض لها جفن في مربع الدردشة ، كيف أتواصل مع هذا الكم الهائل من الأصدقاء في هذا البراح الافتراضي الشاسع وأنا التي تؤمن بالعزلة و مرافقة الذات إيماناً مطلقاً كإيمان العجائز ، أنا التي لا تتحدث إلا وجهاً لوجه ، لا أحب الحديث حتى وشوشة ، تعشق ثرثرة الملامح ، حمرة الخجل ، ورفة العين ، الالتفاتة المفاجأة ونظرة المحبة ، تقيس درجة القبول في رنة الصوت ، درجة حرارة اليد أثناء المصافحة ودرجة البعد والاقتراب ، أحب انتظار الرسائل ، التقاط الأنفاس ساعة الوصول وفضها على مهل ، وعبّ ما فيها على جرعات متباعدة ، أعشق ملمسها ورائحة عبيرها وتحسس أطرافها بحنان لا أن أتعثر بها في زاوية باردة لا حرارة فيها لا رائحة ولا ملمس ، أستلذ لسماع خشخشة الخط الهاتفي القديم ، وصوت اشتعال زر الكاميرا المتربعة على أربعة أرجل وألبوم صور العائلة القديم ، هذه الصور الفوتوغرافية المتأنية المستعصية على الزوال لا الإلكترونية الملتقطة على عجل ، مقيد عمرها بكبسة زر الإلغاء بفعل عبث طفل عنيد أو عطل من نوع ما ، ما أغبانا ؟!! جعلنا أجمل ذكرياتنا مدفونة في أجهزة محمولة مرهونة بعبث طفل ، أغلى لحظاتنا مدفونة في زاوية جامدة بلا طعم ولا رائحة ، كيف يمكنني الحفاظ على ذكرياتي الافتراضية مع صديقي الافتراضي في هذا الفضاء الشاسع من العبث ؟

آه يا ورقي ، يا ملاذي ، كم أتمنى قلب صفحات الماضي بسرعة جنونية ، أو رمي دفتر الذكريات و التخلص منه في سلة المهملات ، أردت أن أتلصص على الحاضر من كوة باب عزلتي لعل فيه ما يغريني فأهرع إليه من باب غرفتي الموارب ، أنفض غبار الأشياء الماضية عن ثيابي وعقلي وجسدي ، أبيع مذياع جدّتي القديم ، أخبئ أشياء والدي بعيداً عني و أمزق دفاتري العتيقة ،أوراقي المتآكلة التي نخر أطرافها السوس و الرسائل القديمة ورائحة عطرها العتيق جداً ، أردت أن أقف على قدمين في حاضر لا يرفضني أو يرفضه عقلي وروحي ، جلست على الطرف ، أنا أحب طرف الأشياء ، أجرب الاقتراب ببطء فإذا وجدتُ قبولاً أتوغل شيئاً فشيئاً حتى أحتوي الأشياء أو تحتويني ، عموماً جلست على طرف السجادة أرمق ابن أختي الشاب المراهق ، أجده منهمكاً بالكامل في شاشة هاتفه النقال ، يديه ، عيونه ، شعره ، سترته، فمه ، شفتاه ، روحه ، تفاصيله بالكامل تريد أن تذوب شيئاً فشيئاً وتصبح دخاناً يتسرب ببطء إلى شاشة هاتفه حتى يختفي كلياً في محموله النقال الصغير ، أستهوتني اللعبة ، لعبة مراقبته من بعيد ، شعرتُ بأن هذا المحمول اللعين سوف يلتهمه ، أحسست بأن هذه الآفة الإلكترونية سوف تلدغه فيموت مسموما لأهرع إلى أمه المسكينة في المطبخ ، وجدته يبتسم وينظر إلى ثم هتف « واااااو ألف لايك » ، نظرت إلى عدد المعجبين تحت صورته التي نشرها فوجدت فعلاً العدد كبير وفي تزايد كل ثانية ، استغربت ، أنها مجرد صورة عادية له ماداً شفتيه وكأنه يقوم بتقبيلك من خلف الشاشة ، تذكرت نصي البائس وعدد المعجبين ، هذا العدد لا يتعدى أصابع اليد ، اقتربت أكثر من ابن أختي المراهق ، هذا الولد الفذ لا بد أن لديه كاريزما عالية ، نظرت إليه متسائلة فأبتسم وأخيراً فهمت أنه برنامج صغير جداً تضعه في هاتفك ، ثم تتبع خطوات معينة وما هي إلا دقائق حتى ينهمر عليك المعجبين والمعجبات على منشوراتك الساذجة ، اقتربت أكثر ، اقتربت حتى صرت ملاصقة للولد وجربت البرنامج بنفسي ووصل عدد المعجبين تحت نصي البائس إلى المئات .

– هل هؤلاء أشخاص لديهم اشتراكات حقيقية في هذا الفضاء الأزرق ؟

اكتشفت أن لديهم اشتراكات حقيقية وأصدقاء وتفاعل وصور ومنشورات وأن العدد الكبير الموجود تحت نصي البائس ليس مجرد رقم وهمي أبدا

هالني ما اكتشفته ، شعرت بالاستياء ، أحسست أن عالمي نظيف ونقي وصادق وطاهر ، وارتعبت من مجرد فكرة أن يصل أعجاب مني دون علمي تحت نص يكفر بالله ، أو تصل سبابتي الافتراضية الزرقاء دون إرادتي لتضغط تحت صورة خليعة أو مقطع مشبوه .

خيرية فتحي عبد الجليل

فوتوغرافيا

بعدسة الفنان علي الساعدي ترتدي قورينا عباءة الثلج، ويبدو مبنى القادة مهيباً وهو يشرف على المنطقة المقدسة، هناك، حيث كانت معابد الآلهة وتراتيل الكهنة والخاشعين .

هنا، كانت حضارة قورينا ـ إحدى أكبر مدن الحضارة الاغريقية العريقة ـ تتكيء على كتف جبلنا الأخضر البهي، وتغسل قدميها في زرقة البحر، وتبعث للدنيا كلها برسالةٍ مفادها أن الحضارة ليست خطاب كراهية واحتقار.

مجلة
الليبي
The Libyan
شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة الخدمات
الإعلامية بمجلس النواب الليبي

ثقافة الوطن

ووطن الثقافة

aglemohada@gmail.com
info@libyanmagazine.com
Ads@libyanmagazine.com
https://libyanmagazine.com

رئيس التحرير
د. الصديق بودوارة